



مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة

الماستر

تخصص: (أدب جزائري)

الفضاء الطارد والفضاء الأليف في الرواية الجزائرية المعاصرة
رواية "الزنجية": لعائشة بنور نموذجاً

مقدمة من قبل الطالبتين:

فيروز خليفة

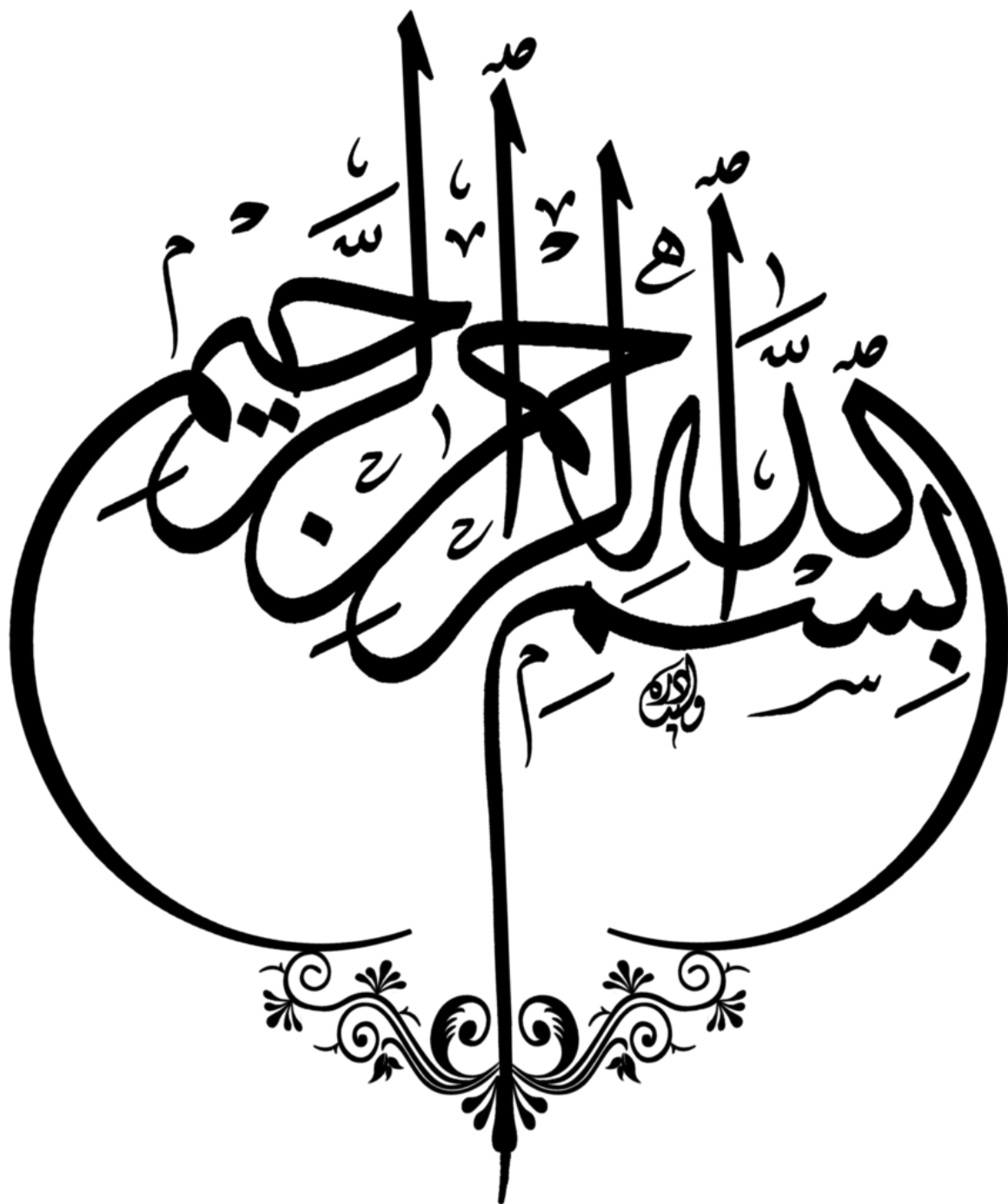
هديل قناتلية

تاريخ المناقشة : 2024/06/22

أمام اللجنة المشكلة من:

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة
عبد المجيد بدرأوي	أستاذ محاضر - أ	رئيساً	جامعة 8 ماي 1945 - قالمة -
علي طرش	أستاذ محاضر - أ	مشرفاً ومقرراً	جامعة 8 ماي 1945 - قالمة -
نوال براهيممي	أستاذ مساعد	مناقشاً	جامعة 8 ماي 1945 - قالمة -

السنة الجامعية: 2023-2024





شكر وتقدير

الحمد لله الذي أعاننا أولاً وأخيراً

حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ثم الصلاة على الرسول الكريم

عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم وعلى آله وصحبه أجمعين.

نتوجه بخالص عبارات الشكر والتقدير إلى من يسر لنا كل عسير،

إلى الأولياء الكرماء،

ثم إلى الأستاذ المشرف الدكتور: "علي طرش"

على ما قدّم لنا من مساعدة،

كما نشكره على كلّ ملاحظة أبدأها وعلى كلّ نصيحة أسداها،

وكذا إلى السادة المحترمين أعضاء اللجنة الموقرة، فلکم منّا أسمی عبارات الامتنان.

إلى كلّ من ساعدنا بكلمة أو فكرة.

المقدمة

المقدمة:

الرواية نوع أدبي ينتمي إلى جنس النثر، أثبت قدرته على التعبير عن الواقع من جميع جوانبه، لهذا إستطاعت الرواية أن تطور من نفسها، فهي من أكثر الأجناس الأدبية انتشارا حاليا سواء من حيث الكتابة أو من حيث الدراسة والنقد، خاصة الرواية الجزائرية التي اكتسحت الساحة الأدبية في الوقت الحالي، كونها تعبر عن الواقع المعاش بجوانبه المختلفة اجتماعيا، سياسيا... كما يمكن أن تعبر أيضا عن واقع غير واقعها مثل ما جاء في رواية "الزنجية" لعائشة بنور تصف واقع النيجر، هذا ما زاد من الاهتمام بها وبعناصرها ومكوناتها السردية المختلفة ومن أهم هذه المكونات الأساسية نجد الفضاء الذي يمثل ركنا أساسا في الرواية مثله مثل باقي الأركان الأخرى التي تقوم عليها، فلا نجد عموما رواية بدون شخصيات ولا فضاء، فهو من الأبنية الأساسية لكل عمل روائي فلا وجود لرواية بدون فضاء تقريبا، فهو عنصر مساعد في كشف مشاعر الشخصية وعالمها الداخلي الذي لا يظهر لنا إلا بفضل عبقرية السارد في إظهار علاقة الشخصيات به.

ولأن الفضاء من الأسس التي تقوم عليها أي رواية، وهو الذي تتحرك داخله الشخصيات، كما أن الاهتمام به في الآونة الأخيرة قد زاد، فقد ارتأينا دراسته من خلال الرواية فجاءت موسومة بـ "الفضاء الطارد والفضاء الأليف في الرواية الجزائرية المعاصرة رواية "الزنجية" لعائشة بنور أنموذجا. ولعل من بين الدوافع وراء اختيارنا لهذا الموضوع هو الرغبة في البحث في جماليته وذلك يكمن في الكشف عن باطن الشخصية وعمما تشعر به في علاقتها به، هذا ما دفع بنا لطرح تساؤلات تمثلت في:

ماذا نقصد بالفضاء الطارد والفضاء الأليف؟

وفيما تجلّى الفضاء الطارد والفضاء الأليف في رواية الزنجية لعائشة بنور؟

أما عن المنهج المستخدم فقد اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي فهو الأنسب من حيث وصف حالة الشخصية الشعورية ومحاولة تحليلها.

وللإجابة عن تساؤلات البحث قمنا بتقسيم البحث إلى:

مقدمة وفصلين وخاتمة.

في الفصل الأول وهو الفصل النظري الذي جاء تحت عنوان: "ماهية الفضاء في الرواية"، فقد تطرقنا فيه إلى مفهوم الفضاء لغة واصطلاحاً ومفهوم المكان والحيز، إضافة إلى الفرق بين الفضاء والمكان والحيز وأيضاً علاقة الفضاء بالشخصية وأنواع الفضاء وأهميته.

أما في الفصل الثاني وهو الفصل التطبيقي الذي جاء تحت عنوان: "تجليات الفضاء الطارد والفضاء الأليف في رواية "الزنجية" لعائشة بنور"، فقمنا باستخراج الفضاءات الطاردة وتبيان علاقتها بالشخصية البطلية، كما تطرقنا إلى الفضاء الأليف كتصور.

وفي النهاية قدمنا خاتمة لهذا البحث تجيب عن الإشكاليات والتساؤلات التي طرحناها مع ذكر بعض الاستنتاجات المتوصل إليها، يليها ملحق يحتوي على ملخص الرواية.

أما عن الصعوبات التي واجهتنا في بحثنا هذا فتمثلت في قلة المصادر والمراجع، وكذلك ضيق الوقت. أما عن المراجع فكان المرجع الأبرز هو كتاب: "جماليات المكان" لغاستون باشلار، والمصدر هو رواية "الزنجية" لعائشة بنور.

وفي الأخير نشكر الله عز وجل الذي كان له الفضل الأول في إتمام بحثنا، والشكر الثاني يكون للدكتور المشرف "علي طرش" الذي ساندنا في بحثنا ولم ييخل علينا بتوجيهاته ونصائحه القيمة. فإن أصبنا فمن الله وإن أخطأنا فمن أنفسنا، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الفصل الأول: ماهية الفضاء في

الرواية

أولاً: مفهوم الفضاء

يعدّ الفضاء الأرضية والركيزة الأساسية لكل عمل روائي، إذ يلف هذا الأخير كل عناصر السرد من شخصيات وأحداث وغيرها، فمن خلال تعدد واختلاف الآراء حول الفضاء الروائي توجهنا إلى تعريف الفضاء لغة واصطلاحاً.

1- لغة: جاء في لسان العرب "فضاء: الفضاء: المكان الواسع من الأرض والفعل فضا يفضو فضوا فهو فاض...، وقد فُضِيَ المكان وأفضِيَ إذا اتَّسَعَ وأفضِيَ فلانٌ إلى فلانٍ أي وصلَ إليه وأصله أنه صار في فُرجته وفضائه وحيّزه...، والفضاء: السَّاحة وما اتَّسَعَ من الأرض...، وجمعه أفضية"¹. فمن خلال ما جاء في لسان العرب عن مفهوم الفضاء فهو يأخذ معنى المكان، والاتساع، والحيز والساحة، وهو من الفعل فضا يفضو فضوا وجمعه أفضية.

كما جاء أيضاً في المعجم الوسيط "أفضى المكان: فُضاً وفلان خرج إلى الفضاء. وإلى فلان: أي وصل... والفضاء ما اتَّسَعَ من الأرض، والحالي من الأرض، ومن الدَّار: وما اتَّسَعَ من الأرض أمامها وما بين الكواكب والنجوم من مسافاتٍ لا يعلمها إلا الله والجمع أفضية"².

الفضاء من خلال هذا المفهوم كذلك لا يخرج عن المكان والحيز والاتساع، كما ورد في معجم الصحاح "الفضاء: السَّاحة، وما اتَّسَعَ من الأرض، يقال: أفضيتُ إذا خرجتُ إلى الفضاء، وأفضيتُ إلى فلانٍ بسرِّي"³، أي أن الفضاء هنا يأخذ معنى الساحة والأرض الواسعة، وأفضيت أي أعطيت فلانا سرّي.

¹ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري لسان العرب-المجلد15، 2005، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط4، ص157-158.

² معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، 2004، ط1، ص693-694.

³ إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تج: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، 1979، الطبعة 3، ج6، ص2455.

2- اصطلاحا:

إن الفضاء في مفهومه الاصطلاحي لا يخرج عن معناه اللغوي، فهو يأخذ معنى الحيز والمكان "ويمكن ذكر أغلب المصطلحات ذات الصلة بموضوع الفضاء كما يلي: الفضاء-المكان-البيئة-الإطار-الحيز-المكان الروائي-المكان في الرواية-الفضاء المكاني-المكان الحكائي-الفضاء الجغرافي-الفضاء الواقعي-الكرونوتوب-الزمكان-الفضاء الروائي-الفضاء الزمكاني-الفضاء منظورا-الفضاء الدلالي-الفضاء الموضوعي للكتاب-الفضاء النصي-الفضاء الطباعي-فضاء النص-الفضاء الكتابي-الفضاء الحكائي"⁴.

فكل هذه المصطلحات استخدمها الباحثون والدارسون ولم ينحصر في مصطلحي "المكان والحيز" بل تعداه إلى مصطلحات أخرى كثيرة، كلها ترتبط بهذا اللفظ، أو في استخدامات النقاد لهذا المفهوم إجمالا، ويرى عبد الملك مرتاض أن: "المصطلح الشائع (يقصد الفضاء) بين كثير من النقاد العرب المعاصرين، جديد في الاستعمال النقدي العربي المعاصر، بحيث لا نعتقد أننا نصادفه في الكتابات العربية التي كتبت منذ ثلاثين عاما، ولقد جاء استعماله نتيجة لآلاف المصطلحات الجديدة التي دخلت اللغة العربية عن طريق الترجمة من اللغات الغربية"¹.

⁴ بلسم محمد الشيباني، الفضاء وبنيته في النص النقدي والروائي، رباعية الخسوف لإبراهيم الكوني نموذجا"، منشورات مجلس الابداع الثقافي الجماهيرية، ط1، 2004، ص19.

يرى هذا الناقد أن الفضاء مصطلح جديد التداول، شائع بين النقاد، دخيل على اللغة العربية، أدخله النقاد نتيجة الاحتكاك بالغرب والأخذ من الثقافة الغربية والترجمة.

"يكون إحساس المبدع والفنان دون غيره بالفضاء إحساسا عميقا من هنا كانت علاقة الفضاء بالأدب وطيدة، بل هو المادة الجوهرية للكتابة الروائية على وجه الخصوص، إذ لا يخلو أي عمل من استحضار لهذا المكون الذي يعتبر السند الأساسي له والملفوظ الرئيسي المشكل لنسيجه إنه إحدى هوياته التي لا يمكن إغفالها أو اختزالها وإلا عد العمل ناقصا مبتورا"¹. من خلال هذا القول نفهم أن الشيء الذي خلق العلاقة الموجودة بين الفضاء والأدب تكمن في علاقة الفنان والمبدع بالفضاء أساسا، دون غيرهم فما يكون إلهام للعمل الأدبي هو الفضاء أو استحضاره بطريقة ما في ذهنية المبدع.

بالإضافة إلى أنه "عمل أساسي يقوم على بناء النص، ولكن وظيفته ليست تقديم إطار واقعي للأحداث، بل توفير إطار تمثيلي وتصويري لها مهما بدت صلته بالواقع ضعيفة، فقد يستخدم الفضاء لخلق عالم خيالي محض، كما هي الحال في روايات الخيال العلمي أو لإحاطة الحدث بجو خاص أو لتسليط الضوء عليه، أو لكشف طبائع الشخصيات أو لبيان القوى المتصارعة في الحكاية"². أي أنّ للفضاء وظائف متعددة لا تقتصر فقط على أنه هو الإطار التمثيلي للحدث الواقعي بل إنه تمثيل خيالي يلجأ إليه المبدع لكتابة الخيال العلمي، أو تصوير حدث بجو خاص يمكن من خلاله الكشف عن طبيعة الشخصية وكذلك القوى المسيطرة في النص الروائي.

يقول حسن بحراوي: "إن الفضاء الروائي لا يوجد إلا من خلال اللغة، إنه فضاء لا يوجد سوى من خلال الكلمات المطبوعة في الكتاب"³، أي أنه يربط وجود الفضاء الروائي بوجود اللغة، فهي التي تعبر عن هذا الفضاء من خلال الكلمات المكتوبة فبدون اللغة لا وجود للفضاء الروائي.

¹ نصيرة زوزو، إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر، مجلة الآداب للعلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية الآداب، جامعة بسكرة، الجزائر، جانفي 2010، ص3.

² لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، لبنان، مكتبة لبنان، ط1، 2002، ص128.

³ حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، لبنان، المغرب، 1990، ص27.

ثانيا: مفهوم المكان

" للمكان في حياة الإنسان قيمته الكبرى ومزيتته التي تشده إلى الأرض، ولا غرو فالمكان يلعب دورا رئيسيا في حياة أي إنسان، فمنذ أن يكون نطفة يتخذ من رحم الأم مكانا يمارس فيه تكوينه البيولوجي والحياتي، حتى إذا حان المخاض وخرج هذا الجنين يتنسم أول نسمة للوجود الخارجي كان المهده هو المكان الذي تتفتح فيه مداركه وتنمو فيه حواسه من بصر وشم وذوق وسمع ولمس، بعده - أي بعد المهده- تتبلور الأبعاد المكانية للإنسان بصور أوضح في البيت والمدرسة والنادي والسينما والكاзино والشارع، سواء في القرية أو المدينة أو الصحراء، بل في البحر والجو أيضا في أحياز مكانية لا حصر لها، قد يكون القبر في الحقيقة هو النهاية أو المحطة الأخيرة لكل منها"¹.

يعد المكان إذا الإطار الذي تتحرك فيه الشخصية (الإنسان) والوعاء الحامل أو الحاضن للأحداث، فلا يمكن تصور وقوع حدث ما دون وجود أرضية لحصول هذا الحدث أو هذا الفعل، وللمكان عدة مفاهيم من حيث اللغة والاصطلاح وهذا ما سنتطرق إليه فيما يلي:

1- لغة:

وردت لفظة المكان في عدة مواضع في القرآن الكريم كقوله تعالى: "جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمْ

الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ"²

وقوله تعالى: " وَإِذْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ يَا مُحَمَّدُ وَإِنَّمَا أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ لِتَعْلَمَ بِهَا فَأَبْرَأُوا النَّفْسَ الَّتِي حَتَمْنَا بِاللُّغَةِ الْغَرِيبَةِ لَنُغْفِرَ لِمَنْ نَشَاءُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ"³.

وقوله تعالى: " وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَارِنَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ"⁴.

وقوله تعالى: " وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا"¹.

¹ أحمد طاهر حسنين، أحمد غنيم، حازم شحاتة، مدحت الجبار، محمود البطل، نجوجي واثيرونجو، سيزا قاسم، يوري لوتمان: جماليات المكان، ط2، عيون المقالات، الدار البيضاء، 1988، ص5.

² سورة يونس، الآية (22).

³ سورة النساء، الآية (20).

⁴ سورة النحل، الآية (101).

رغم اختلاف دلالة هذه الآيات الكريمة إلا أن لفظة المكان في جميع المواضع تعني: الموضع كما ورد في لسان العرب: "المكانُ والمكانةُ واحدٌ، اللَّيْثُ: مكانٌ في أصل تقديرِ الفعلِ مفعولٌ، لأنَّه موضعٌ لكنونة الشَّيء فيه...، قال: والدليل على أنَّ المكان مفعول أن العرب لا تقول في معنى هو منى مكان كذا وكذا إلا مفعول كذا وكذا، بالنَّصب ابن سيدة: والمكانُ الموضعُ، والجمعُ أمكنةٌ كقذال وأقذلة، وأماكن جمع الجمع، قال ثعلب: يبطل أن يكون مكان فعالاً لأن العرب تقول: كن مكانك، وقم مكانك، واقعد مقعدك، فقد دلَّ هذا على أمكنتها معناه الطير التي يزجر بها، يقول: لا تزجروا الطير ولا تلتفتوا إليها، وأقرها على مواضعها التي جعلها الله لها"².

كما ورد في محيط المحيط: "فلان عند السلطان يمكن مكانة عظم عنده وارتفع وصار ذا منزلة...، المكان الموضع، أو هو مفعول من الكون ج أمكنة وأماكن وأمكن قليلاً، ويقال هذا مكان أي بدله"³.

كما نجد في معجم الوسيط: "مَكَنَ فلانٌ عن الناسِ مكانةً": عَظُمَ عندهم فهو مَكِين. (ح)مكناء وفي التنزيل العزيز: قَالَ إِنَّكَ لَيَوْمَ لَدِينَا مَكِينٌ أَمِينٌ"⁴.

من خلال التعريفات اللغوية التي ذكرناها، نجد أن مصطلح المكان يحمل عدة معان، فيعني الموضع والمكانة والمنزلة.

1- اصطلاحاً:

لقد تعددت المفاهيم الاصطلاحية للمكان بسبب تعدد واختلاف الآراء حوله ومن بين هذه المفاهيم:

حسب مرشد أحمد المكان هو: "العمود الفقري الذي يربط أجزاء النص الروائي ببعضها البعض، وهو الذي يسم الأشخاص والأحداث الروائية في العمق، (ويبدل عليها وهو دال على

¹سورة مريم، الآية (16).

²ابن منظور، لسان العرب، ط1، ص4250، 4249.

³بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، 2008، ص859.

⁴معجم اللغة العربية، الوسيط، ص881.

الانسان قبل أن يكون دالا على جغرافيا محددة أو دال على تقنية تبرز حدوث الوقائع والأحداث)،
والمكان الروائي هو أساسا مكان الإنسان، مكان يجدد سلوكه وعلاقته ويمنحه فرصة الحركة ويمنعه من
الانطلاق"¹.

من خلال هذا المفهوم نستنتج أن المكان هو العصب الأساس في العمل الروائي إذ يمثل
الإطار العام الذي يربط العناصر الروائية ببعضها البعض، فلا يمكن تصور وقوع الأحداث أو تحرك
الشخص دون أرضية للممارسة، فهو يدل على كل منهما (أي الحدث والشخصية)، " فالمكان أحد
المكونات الحكائية التي تشكل بنية النص الروائي، لكونه يمثل العنصر الأساسي الذي يتطلبه الحدث
الروائي والشخصية الروائية في الوقت نفسه، ولهذا يلعب دورا مركزيا داخل منظومة الحكيم لأن الحدث
الروائي لا يتم في فراغ بل لا بد من مكان يقع فيه، لكي يأخذ مصداقيته وتتم عملية تبليغه بنوع من
المصداقية إلى المتلقي"².

كما نجد يوري لوتمان (Youri Lotman) يقر بأن: " المكان حقيقة معاشة ويؤثر في البشر
بنفس القدر الذي يؤثرون فيه، فلا يوجد مكان فارغ أو سلمي ويحمل المكان في طياته قيما تنتج من
التنظيم المعماري ، كما تنتج من التوظيف الاجتماعي؛ فيفرض كل مكان سلوكا خاصا على الناس
الذين يلجؤون إليه، والطريقة التي يدرك بها المكان تضيف عليه دلالات خاصة... ويحمل مجموع
سلوكنا قيمة معينة من خلال وظيفة الأماكن التي نمارس فيها هذا السلوك: فالأماكن الدينية تفرض
علينا ارتداء ملابس محتشمة والكلام بصوت خفيض"³، ومن خلال هذا التعريف نجد أن المكان يقوم
باحتواء كل الأجسام حيث يؤثر في الإنسان وسلوكاته وهذا الأخير بدوره يؤثر في هذا الوسط (أي
المكان)، ولكل مكان نعمل فيه متطلباته، و" لاشك أن المكان يمثل محورا أساسيا من المحاور التي
تدور حولها نظرية الأدب، غير أن المكان في الآونة الأخيرة لم يعد يعتبر مجرد خلفية تقع فيها

¹ مرشد أحمد، البنية والدلالة في الروايات ابراهيم نصر الله، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2005، ص128
² المرجع السابق، ص127.

³ يوري لوتمان، مشكلة المكان الفني، تر: سيزا قاسم ضمن كتاب جماليات المكان لأحمد حسين وآخرون، الدار البيضاء، ط2،
1988، ص63.

الأحداث الدرامية، كما لا يعتبر معادلا للشخصية الروائية فقط، ولكن أصبح ينظر إليه على أنه عنصر شكلي وتشكيلي من عناصر العمل الفني، وأصبح تفاعل العناصر المكانية وتضادها يشكلان بعدا جماليا من أبعاد النص الأدبي¹. وهنا نعود إلى ما ذكرناه سابقا وهو أن المكان مؤسس الحكيم وعن طريقه تتشكل بنية النص الروائي-العمل الأدبي- إذ يعد أحد المكونات الحكائية.

المكان هو: " مجموعة من الأشياء المتجانسة (من الظواهر، أو الحالات، أو الوظائف، أو الأشكال المتغيرة... الخ) تقوم بينها علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة/العادية (مثل: الاتصال، المسافة... الخ)"².

مما سبق ذكره نستنتج أن للمكان منزلة كبيرة في العمل الروائي، إذ يقوم بدور هام في بناء الرواية فتواجهه بمختلف المظاهر أو المعاني (الموضع، الحاوي، المنزلة) لم يكن عبثا وإنما يمثل عصب هذا الإبداع الأدبي وحجر الأساس فيها، فمن خلاله يتسنى للقارئ تصور الأحداث واحتمال وقوعها وكذلك واقعتها، ومنه فالمكان أهم العناصر البناءة للرواية ولا يمكن القول أنه مجرد رقعة جغرافية لأنه يتعلق ويرتبط بالكثير من المجالات.

ثالثا: مفهوم الحيز

أخذ مصطلح الحيز اهتمام الكثير من الباحثين فمنهم من أبدله بمصطلحات أخرى، ومنهم من حافظ على هذا المصطلح ولهذا توجهنا إلى معرفة هذا المصطلح من خلال مفهومه اللغوي والاصطلاحي.

1- لغة:

ورد في لسان العرب " حيز: الحوز والحيز: السَيْرُ الرويدُ والسوق اللين، وحاز الإبلَ يحوزها ويحيزها: سارها في رفقٍ والتَّحْيِيزُ: التَّلْوِي التَّقْلِب، وتَحْيِيزَ الرجلُ أراد القيام فأبطأ ذلك عليه... وتحوّزت

¹ أحمد طاهر حسنين وآخرون، جماليات المكان، ص3.

² المرجع نفسه، ص69.

الحية وتحيضت أي تلوّت¹، أيان المعنى الإجمالي لهذه اللفظة هو السير والتقلب والالتواء، فيختلف معناها بحسب اختلاف توظيفها في الجملة، كما جاء أيضا في القاموس المحيط هو "الجمع، وضم الشيء كالحيازة والاحتياز...، والمحاوزة: المخالطة ونحاز عنه: عدل، والقوم: تركوا مركزهم إلى آخر، وتجاوز الفريقان: انحاز كل واحد عن الآخر، وتحوز: تلوى، كتحيز وتنحى، والحوزية: الناقة المنحازة عن الإبل"².

أي أن التحيز هو الانفراد عن الشيء الآخر والتنحى عنه بالإضافة إلى أن الحيز: كل جمع منضم بعضه إلى بعض والمكان، ومن الدار ما انضم إليها من المرافق والمنافع ويقال: هو في الحيز فلان: في كنفه³، أي أن الحيز هو الكنف والجمع ومكان من الدار.

2- اصطلاحا:

يقول الناقد عبد الملك مرتاض عن هذا اللفظ: "لا يكاد النقاد الغربيون يصطنعون مصطلح "المكان" إلا عرضا، ولدلالات خاصة، وعبر حيز ضيق من نشاطهم أما المصطلح الشائع الذي يعنونون به كتبهم ومقالاتهم فإنما هو الحيز بالمقابل الأجنبي الذي ذكرناه، وترجمه "Espace, Space" بالفضاء في الحال، والمكان في حال أخرى، ترجمة غير سليمة"⁴. أي أن لفظة المكان لا تطلق إلا لدلالات يقصدها الكاتب وأما عن لفظة الشائعة في استعمالاتهم هي الحيز للترجمة العربية للفظة "Espace, Space" وترجمة هاتين اللفظتين الأخيرتين إلى الفضاء أو المكان هو ترجمة خاطئة وغير صحيحة، ويضيف أيضا فيقول: "وإنه لمن المستحيل على محلل النص السردي أن يتجاهل الحيز فلا يختصه بوقفه قد تطول أكثر مما تقصر، كما أنه يستحيل على أي كاتب روائي أن يكتب رواية خارج إطار الحيز، فالحيز مشكل أساسي في الكتابة الحديثة"⁵، أي أن

¹ ابن منظور، لسان العرب، المجلد 5، ص 343.

² محمد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الحديث القاهرة، 2008، ص 420، 421.

³ معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط، ص 206.

⁴ عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 121.

⁵ المرجع نفسه، ص 122.

محلل النص السردي لا يمكنه تفادي الحيز فهو الذي يقف عنده مطولا، ولا يمكن الاستغناء عنه في كتابة الرواية فهو أساس الكتابة الروائية وأضاف أيضا تمثيلات الحيز فيقول: "وقد يكون الحيز الروائي ممثلا في قرية أو مدينة، كما قد يتمثل في هضبة أو جبل كما قد يكون طريقا ملحوبا، كما قد يكون شاطئ بحر أو ضفتي نهر، أو جلعتي بحيرة، أو جانبي واد... ويتسم الحيز الروائي في معظم أطوار مثوله بالجمالية والإحياء، ويتفاوت الروائيون في البراعة لدى بنائهم الحيز ورسمه، وتحديد معالمه"¹. أي أن الحيز في الرواية قد لا يأتي في تمثيلات مختلفة فيكون ممثلا في قرية أو هضبة أو بحر... وهذا يرجع إلى طريقة توظيفه في هذا العمل، كما أنه لكل روائي طريقته في تعامله مع الحيز من حيث رسمه وتقديمه للقارئ فهو الذي يتميز بالجمالية الفنية.

لكن رغم هذا كله لا يمكننا إلغاء مصطلح الفضاء أو المكان كما لا يمكن اعتبار الفضاء فراغا، وهذا ما يؤكد الدكتور علي طرش فيقول: "إذ أنه يرى في الفضاء مصطلحا قاصرا عن الإحاطة بمفهوم الحيز الروائي: فمصطلح فضاء يعني الخواء والفراغ عنده، وهذا ليس صحيحا، أضف إلى ذلك أن الفيزياء تعرف الفراغ ولا تساويه بالفضاء مطلقا، لأن الفراغ هو حيث لا يوجد شيء مطلقا حتى أدق الكائنات المجهرية، فلو كان في حيز جغرافي مهما كان واسعا قليل من ذرات الهواء فقط لما عد فراغا، لأنه يكفي وجود بعض الذرات فيه حتى ينافي مفهوم الفراغ أو الخواء... وسواء أطلقنا مصطلح فضاء أم حيز أم مكان، فإن دراستنا في النهاية تحدد أجزاءه بأسمائها الطبيعية المعروفة كالبيت والطريق والحقل والغرفة"².

رابعا: الفرق بين الفضاء والمكان

هناك من اعتبر أن الفضاء والمكان هما لفظتان لشيء واحد لكن نجد الدكتور حميد حميداني يميز بينهما فيقول: "الفضاء الروائي هو أوسع وأشمل من المكان، إنه مجموع الأمكنة التي تقوم عليها

¹عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 130.

²محمد السعيد عبدلي، أطروحة دكتوراه، طرش علي، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة لونيبي علي - البليدة-، 2016-2017، ص 87.

الحركة الروائية المتمثلة في سيرورة الحكيم سواء تلك التي تم تصويرها بشكل مباشر، أم تلك التي تدرك بالضرورة وبطريقة ضمنية مع كل حركة حكاية¹، فهو هنا يعتبر أن الفضاء أهم من المكان فهو الذي يضم أمكنة متعددة هذه الأمكنة هي التي تتحكم في حركية ومواصلة الحكيم الروائي، ويضيف قائلاً: "مادامت الأمكنة في الروايات غالباً ما تكون متعددة، ومتفاوتة فإن فضاء الرواية هو الذي يلفها جميعاً، إنه العالم الواسع الذي يشمل مجموع الأحداث الروائية"²، أي أن فضاء الرواية هو الذي يضم بداخله الأماكن بتعددتها وللأحداث كذلك. لقد وجدنا في هذا القول تأكيد على أن العلاقة بين الفضاء والمكان علاقة العام بالخاص وذلك أن النقاد المحدثين يستخدمون ما يقابل كلمة الموقع (الفضاء)(والمكان، الفراغ)، لتعبير عن مستويين مختلفين للبعد المكاني، أحدهما محدد يتركز على مكان وقوع الحدث والآخر أكثر اتساعاً ويعبر عن الفراغ المتسع الذي تتكشف فيه أحداث الرواية"³. أي أن النقاد يستخدمون لفظة المكان للدلالة على مكان محدد يقع فيه حدث ما، أما الفضاء غير محدد سمته الاتساع وهو الذي تدور فيه الأحداث الروائية كما نجد أيضاً أن لفظة فضاء أعم وأشمل من لفظة المكان فالمقصود بالفضاء هو مجموعة من الأمكنة، وهذا ما نجده في هذا القول: "إن مجموع هذه الأمكنة هو ما يبدو منطقياً أن نطلق عليه اسم: فضاء الرواية لأن الفضاء أشمل وأوسع من معنى المكان"⁴. أي أن مجموع هذه الأمكنة التي يحتويها عمل روائي ما كلها تسمى بالفضاء، أما بفصلها فتصبح عبارة عن مكان، فالفضاء يضم أمكنة وميزته الاتساع والشمولية.

"يتحول في بعض الأعمال المتميزة إلى فضاء يحتوي على كل العناصر الروائية بما فيها الأحداث والشخصيات وإذا كان الدارسون العرب يفضلون مصطلح المكان ويرتضونه عنواناً لدراساتهم على حساب الفضاء"⁵، أي أن الفضاء في الأعمال الروائية يتحول إلى جامع لكل من

¹ حميد حميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، ص 64.

² المرجع نفسه، ص 63.

³ سيزا قاسم، بناء الرواية" دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ"، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، 1978، ص 106.

⁴ حميد حميداني، بنية النص السردي، ص 63.

⁵ زوزو نصيرة، إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقد العربي المعاصر، ص 7.

العناصر الأساسية التي تقوم عليها الرواية بما فيها من أحداث وشخصيات، أما عن الدارسين العرب فهم يستعملون مصطلح المكان بدل الفضاء.

جاء في قول الدكتور محمد بنيس أن الفضاء والمكان منفصلين فيقول: " نستخلص أن المكان منفصل عن الفضاء، وأنه سبب في وضع الفضاء أي أن الفضاء بحاجة على الدوام للمكان"¹، أي أنه هنا يعتبر أن المكان هو السبب في وجود الفضاء فبدون وجود المكان لما كان الفضاء موجودا أصلا.

"الفضاء الروائي والمكان الروائي مصطلحان بينهما صلة وثيقة وإن كان مفهومهما مختلفا، فالمكان الروائي حين يطلق من أي قيد يدل على المكان داخل الرواية، سواء أكان واحدا أم أمكنة عدة، ولكننا حين نضع مصطلح المكان في مقابل مصطلح الفضاء بغية التمييز بين مفهوميهما فإننا نقصد بالمكان المكان الروائي المفرد ليس غير، ونقصد بالفضاء الروائي أمكنة الرواية جميعا، بيد أن دلالة مفهوم الفضاء لا تقتصر على مجموع الأمكنة في الرواية، بل تتسع لتشمل الإيقاع المنظم للحوادث التي تقع في هذه الأمكنة، ولوجهات نظر الشخصيات فيها"²، أي أن للفضاء والمكان علاقة رغم اختلاف مفهومهما فالمكان جزء من الفضاء من حيث رؤيتهما من منطلق مفهومهما، فالفضاء عدة أمكنة أو جميعا ولا نحدد مفهوم الفضاء على أنه مجموعة أمكنة فقط بل نتعدى ذلك إلى أحداث الرواية في تلك الأمكنة وإيديولوجياتها.

"هناك الفضاء إذن وبعدها تأتي الأمكنة لتجد لها حيزا في هذا الفضاء"³، أي أنه يأتي الفضاء أولا وبعده تتفرغ منه الأمكنة التي تنتمي إلى هذا الفضاء فالمكان جزء من الفضاء، أما الناقد عبد الملك مرتاض فقد فرق بين المكان والحيز فيقول: "وإذا كان للمكان حدود تحده ونهاية ينتهي إليها، إن الحيز لا حدود له ولا انتهاء، فهو المجال الفسيح الذي يتبارى في مضطربة كتاب الرواية فيتعاملون

¹ محمد بنيس: الشعر العربي الحديث، بناياته وإبدالاتها، الشعر المعاصر، الجزء 3، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2001، ص115.

² سمر روجي فيصل، الرواية العربية البناء والرؤيا مقاربات نقدية اتجاه الكتاب العرب، دمشق، 2003، ص39.

³ حسن نجمي، شعرية الفضاء والمتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، لبنان المغرب، 2000، ص32.

معه بناء على ما يودون من هذا التعامل، حيث يغتدي الحيز من مشكلات البناء الروائي كالزمان والشخصية واللغة¹، أي أن المكان محدود نهايته مرسومة أما الحيز لست له حدود ولا نهاية، فهو ذلك المجال الواسع الذي يتعامل معه الروائيون بما يريدونه.

خامسا: علاقة الفضاء بالشخصية "من حيث الشعور الإنساني"

تعد الشخصية عمودا أساسيا لقيام أعمدة العمل الروائي فلا وجود لعمل روائي خال من الشخصيات، فهي التي تعمل على تحريك هذا العمل حيث نجد الدكتور والناقد عبد الملك مرتاض يقول: "الشخصية هذا العالم الذي تتمحور حوله كل الوظائف والهواجس والعواطف والميول، فالشخصية هي مصدر إفراز الشر في السلوك الدرامي داخل عمل قصصي ما"²، أي أن الشخصية هي محور دوران كل المشاعر والتصرفات الصادرة في ذلك العالم.

كما أنه هناك شخصية خيالية وأخرى واقعية وهناك شخصية رئيسة وأخرى ثانوية، ولكل منها دوره في العمل الروائي، ويقول عنها حميد حميداني أنه عندما عرفها "رولاند بارت" بأنها: "نتاج عمل تألفي: كان يقصد أن هويتها موزعة في النص عبر الأوصاف والخصائص التي تستند إلى اسم (علم) يتكرر ظهوره في الحكيم"³، أي أن الشخصية هي نتيجة عمل روائي ما حيث تتعرف عليها من خلال خصائصها وصفاتها وأوصافها التي يطلقها عليها الروائي، فيعطي لها اسم علم ما يتكرر هذا الاسم في هذا العمل الروائي ويكون هو الشخصية الرئيسية في العمل.

وعن علاقة المكان بالشخصيات فقد تحدث عنها غاستون باشلار (Gaston Bachelard) في كتابه "جماليات المكان" بأنه هناك نوعين من الأمكنة منها ما هو أليف وآخر معادي، وقد ركز في كتابه هذا على دراسته للمكان الأليف فيقول: "إن المكان الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكان لا مباليا، ذا أبعاد هندسية وحسب فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي

¹ عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، ص 125.

² عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1990، ص 67.

³ حميد حميداني، البنية السردية من منظور النقد الغربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2000، ص 51.

فقط، بل بكل ما في الخيال من تحيز، إننا ننجذب نحوه لأنه يكتف الوجود في حدود تتسم بالحماية...، ومن ناحية أخرى فإن المكان المعادي...، إنه مكان الكراهية والصراع لا يمكن دراسته إلا في سياق الموضوعات الملتهبة انفعاليا والصور الكابوسية¹، أي أن المكان الأليف هو المكان الآمن الذي يلجأ إليه بخياله ولا يعتبر شكلا هندسيا مقيدا أو محددًا بل يتخطى ذلك إلى الإحساس بالانتماء، وعكس ذلك ما نجده عند المكان المعادي فهو يمثل الكابوس بحد ذاته ومنطقه صراع بالنسبة له، فالمكان يعكس حقيقة الشخصية ومن جانب آخر إن حياة الشخصية تفسرها طبيعة المكان الذي يرتبط بها²، أي يعني للمكان تأثير في شخصية الرواية وطبيعتها وفي الشخصية انطباعات المكان.

" إذ عندما تتفاعل الشخصية مع المكان بكل أبعادها يدخل المكان عنصرا فاعلا في تطور الشخصية وبنائها وطبيعتها التي تكتسب منه الدلالة وتعطيه معناه، وبالتالي يتجاوز المكان وظيفته الأولية ومعناه الهندسي المحض إلى فضاء المكان والعلاقات المتشابكة والأحداث التي تجري ضمنه متأثرة به ومؤثرا فيها"³، من خلال هذا نقول إنه يتجاوز المكان معناه الهندسي في الرواية إلى الفضاء الذي يتأثر ويؤثر في شخصية عن طريق بناء ملامحها فهو مساحتها التي تقوم فيها تجاربها وعلاقاتها المترابطة.

كما يضيف أيضا فيقول: " فالأمكنة تغلغت داخل ذوات الشخصيات، وأصبحت فسحات تحتضن مشاعرها وعواطفها وأحاسيسها وحبها وكرهها، والشخصيات اندمجت وتآلفت وانصهرت بهذه الأماكن أو تنافرت منها، وتمثل هذه العلاقة التشابك والارتباط ما بين المكان وتأثيراته في نفسية

¹ غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1984، ص31.

² سيزا قاسم، بناء الرواية" دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ"، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1978، ص119.

³ مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه "حكاية بحار-النقل-المرقأ البعيد"، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط1، 2011، ص190.

الشخصية"¹، أي أن الأمكنة تعتبر الجناح الذي ينطوي على مختلف مشاعر وأحاسيس وعواطف الشخصيات، فالأماكن حملت مختلف الأحداث من حب وكره التقاء وفراق، ومن هنا تزرع في نفسية الشخصية انطباعات تلك الحوادث وتشابك العلاقات.

1-الفضاء الأليف:

نقصد به ذلك المكان الإيجابي أو المحبوب الذي تحس فيه الشخصية بالاطمئنان والأمان والراحة النفسية، وهذا ما تحدث عنه غاستون باشلار وركز عليه في كتابه جماليات المكان في حديثه عن بيت الطفولة في قوله: "إن النقطة الأساسية التي ينطلق منها المؤلف هي أن البيت القديم، بيت الطفولة، هو مكان الألفة، ومركز تكييف الخيال، وعندما نبتعد عنه نظل دائما نستعيد ذكره ونسقط على الكثير من مظاهر الحياة المادية، ذلك الإحساس بالحماية والأمن اللذين كانا يوفرهما لنا البيت القديم"². أي أن غاستون باشلار هنا يركز وينطلق من البيت القديم فهو فضاء أليف أو كما يسميه أيضا بيت الطفولة، الذي يظل في ذاكرتنا فحتى بمجرد ابتعادنا عنه نظل نسترجع ذكرانا فيه، فهو إذا ذلك الفضاء الأليف الذي يشعنا بالأمان والحماية.

ويضيف أيضا فيقول عن الفضاء الأليف هو ذلك "البيت الذي ولدنا فيه، أي بيت الطفولة إنه المكان الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة، وتشكل فيه خيالنا فالمكانية في الأدب هي الصورة الفنية التي تذكرنا أو تبعث فينا ذكريات بيت الطفولة"³. أي أنه ربط الفضاء الأليف بمكان ولادتنا أو بيت الطفولة الذي تشكلت فيه أحلامنا وخیالنا، فهي تلك الصورة الفنية التي نسترجعها نتذكر فيها بيتنا القديم "بيت الطفولة"، وهو ما يترتب عنه ألا نعتبر المكان شيئا مفصولا عن تجربة الإنسان في الوجود، ذلك أن المكان هو فضاء يعيش فيه الإنسان ليس بشكل موضوعي فقط ولكن بشكل

¹المرجع السابق، ص201.

²غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا، ص9

³المرجع نفسه، ص6.

رمزي من خلال ما يحلم به الإنسان أو يتذكره، أي من خلال ما ينسجه الإنسان من علاقات بالمكان سواء كانت علاقات ألفة وحنين وانجذاب وتذكر، أو علاقات عداة ونفور وابتعاد ونسيان"¹. أي أن المكان هو الذي يساهم في تشكيل التجربة التي يعيشها الإنسان فالمكان هو ذلك الفضاء الذي يحلم فيه الإنسان بأحلامه ويتذكره في كل مرة، لأنه أصبح بالنسبة له إما فضاء يعبر عن الألفة والمحبة، أو عن النفور والعدائية وذلك حسب العلاقة التي تربط ذلك الإنسان بذلك المكان. "وقد تعددت الأمكنة وأثرت في الشخصيات فمنها من حركها باتجاه الهدوء والطمأنينة والألفة وحقق لها المحبة والتوازن، كالبيوت التي نشأت فيها هذه الشخصيات"². أي أن الأمكنة في الرواية متعددة، ولكل منها تأثيرها على الشخصية فمن هذه الأمكنة من اعتبرتها الشخصية ملجأها الذي تطمئن فيه وتحس بالأمان فهو ذلك المكان الذي حقق لها الهدوء والسكون والمحبة، مثال ذلك البيت الذي ولدت ورعرعت فيه الشخصية وهو لبيت الطفولة عند باشلار، كما يقول أيضا هذا الأخير في هذا السياق نفسه عن الفضاء الأليف أنه "يركز الوجود داخل حدود تمنح الحرية والحماية ويتخذ المكان الأليف صفات وملامح ذات طابع ذاتي، خارج البعد الهندسي"³. فالمكان الأليف له حدود لمساحة تغزوها الحرية والأمان والانتماء لما فيه من صفات ذاتية وفق طابع الذاتية بعيد عن كونه بعدا هندسيا ماديا.

2-الفضاء الطارد:

هو ذلك الفضاء الذي تنفر منه الشخصية الروائية حيث تحس بعدم الأمان، وعدم الاطمئنان فيه فيصبح هذا الفضاء بالنسبة لهذه الشخصية فضاء طاردا منبوذا، لا تتقبل العيش أو البقاء فيه فتحاول دائما تفاديه والخروج منه فيصبح بذلك فضاء سلمي طارد، وهذا ما عبر عنه

¹محمد بوعزة، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، منشورات الاختلاف، الرباط، ط1، 2010، ص105.

²مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه، ص203.

³غاستون باشلار، جماليات المكان، ص9.

غاستون باشلار في قوله بأن المكان المعادي: "لا يمكن دراسته إلا في سياق الموضوعات الملتهبة انفعاليا والصور الكابوسية"¹.

أي أن الفضاء الطارد لا يدرس إلا ضمن موضوعات انفعالية وصور صاخبة الرعب ، خلفياتها مرعبة، أما عن ربط الفضاء بالشعور والإحساس "فمنها ما حرك مشاعر الخوف والقلق في نفوسنا، ومنها ما حرك المجهول والتآلف والتنافر والانسجام والاندماج بهذه الأماكن حتى الموت حبا ومنها ما عكس الحزن والحياة والانكسار، أو عكس الإرادة والثبات، ومنها ما عكس الذكريات البعيدة الحزينة اللامتناهية والدفاقة عند الشخصيات"²، أي أن الأماكن عبارة عن مرآة عاكسة لتجارب معاشة مع مشاعرنا فمرة تعكس الأمان والانسجام والاندماج والانتماء، ومرة أخرى تعكس الثبات والإدارة ومرة أخرى تعكس ما تحمله الشخصيات من صفات الماضي البعيد، كما أن هذا الفضاء قد يكون له علاقة بتجربة أو مشاعر معاشة في مرحلة ما من فرح أو حزن أو ربح أو خسارة وهذا ما نجده في قوله: "وهنا أيضا يكون المكان تجربة معاشة، وقد يكون معتبرا عن الهزيمة واليأس كالسجن الذي اعتبرناه مكانا قسريا ومنفى وغربة، وموتا وقتل حرية الشخصية"³، فمثل هنا عنه بالسجن الذي يعبر عن مشاعر الموت والغربة أو المنفى وقتل حرية الفرد كما يشكل المكان العادي أحد الأماكن التي لا يمكن تجاوزها في أي نص روائي، ذلك أن الشخصيات تعيش في مكان محدد وهذا المكان إما أنه يكون مألوفاً أو معادياً، بمعنى أن ارتباط الشخصيات بالأماكن إنما هو ارتباط روحي له دلالاته المادية والمعنوية التي لا يمكن التغاضي عنها، فالمكان المعادي نقيض المكان الأليف يشعر الإنسان إزاءه بالكراهية والنفور وانعدام التآلف و الانتماء إليه، ومن هذه الأمكنة: المنافي، السجون والمعتقلات والمستشفيات والصحراء"⁴. أي أن المكان نوعين إما مألوف أو عادي والمعادي

¹المرجع السابق ، ص31.

²مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه، ص203.

³المرجع نفسه ، ص191.

⁴عبيد محمد صابر، مغامرة الكتابة في تظاهرات الفضاء النصي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2016،

ص152.

لا يمكن تخطيطه في النص الروائي، فالارتباط بالأماكن له دلالات مادية ومعنوية معا لا يمكن غض البصر عنها، والمكان المعادي عكس المكان الأليف نشعر تجاهه عكس ما نشعر تجاه الأخير من مشاعر كره واختناق وأمثلة ذلك المستشفيات والسجون، وقد لخص الناقد محمد بوعزة في هذا الجدول الفروقات بين أمكنة الألفة والأمكنة المعادية، من خلال المتضادات فمن خلال هذا الجدول نفهم ما نقصده بالأمكنة الأليفة والأمكنة الطاردة أو المعادية، فالأولى تتميز بإحساس الشخصية بالحماية والحب والانجذاب إلى ذلك المكان، فهو بذلك مكان قابل للسكن أما الثانية فتتميز بإحساس الشخصية الدائم بالتهديد ونفورها من ذلك المكان، فهو بذلك مكان غير قابل للسكن وهذا ما نجده في هذا الجدول:¹

أمكنة الألفة	الأمكنة المعادية
- الحماية	- التهديد
- الجاذبية	- النفور
- الطمأنينة	- الرعب
- الحب	- الكراهية
- الراحة	- التعب
- قابل للسكن	- غير قابل للسكن

فالفضاء الطارد هو ذلك الفضاء المعادي للإنسان فنجد أنه أصبح يمثل تهديدا على حياته، فيحسب دائما بالعداء والكراهية فغلب فيه الإحساس بالموت والخوف ومحاوله الخروج والتخلص منه.

¹ محمد بوعزة، تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، ص 105.

سادسا: أنواع الفضاء الروائي

من خلال تعدد الدراسات التي تناولت موضوع الحديث عن الفضاء الروائي، تعددت تصنيفاته ويحدد حميد حميداني أربعة أنواع للفضاء نذكرها كالآتي:

1- الفضاء الجغرافي: (l'espace Geogrplique)

" وهو مقابل لمفهوم المكان ويتولد عن طريق الحكيم ذاته، إنه الفضاء الذي يتحرك فيه الأبطال أو يفترض أنهم يتحركون فيه"¹.

من هنا فإن هذا النوع يشغل الحيز المكاني في الرواية إذ يعد هذا الأخير الحاضنة الاستيعابية للأحداث حيث يتوزع على طول الرواية فالروائي حسب حميد حميداني: " يقدم دائما حدا أدنى من الإشارات الجغرافية التي تشكل فقط نقطة انطلاق من أجل تحريك خيال القارئ، أو من أجل استكشافات منهجية للأماكن"².

فإنه إذا فضاء ينتجه الحكيم وهو محدود جغرافيا أي أنه المكان الذي تتوزع فيه الأحداث وتصوره قصة الرواية المتخيلة، إذ أن المكان ينفرد عن باقي عناصر السرد مما يعني أنه مكون أو جزء من الفضاء حيث يرتبط ارتباطات عديدة مع المكونات الحكائية الأخرى كالشخصيات والأحداث. ويدور الاعتقاد حول أنه من الممكن دراسة الفضاء الجغرافي في استقلال عن المضمون، والمعتقدين بهذا هم من يهتمون فقط ببنية الفضاء الخالص لا بالإمكانة وما يحدث فيها.

ويعرف محمد عزام الفضاء الجغرافي في كتابه شعرية الخطاب السردية بأنه: " الحيز الذي يتحرك فيه الأبطال"³. ومنه فإن هذا الفضاء يمثل المركز الأساسي الذي أقيمت حول نواته الأبنية الأخرى.

¹ حميد حميداني، بنية النص السردية (من منظور النقد الأدبي)، ص 62.

² المرجع نفسه، ص 53.

³ محمد عزام، شعرية الخطاب السردية، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، ط 2005، 1، ص 75.

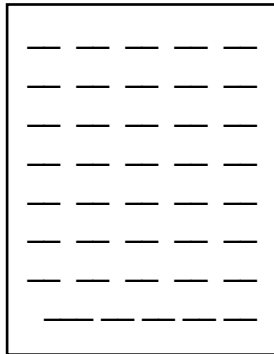
من خلال التعريفات السابقة نستخلص أن الفضاء الجغرافي أو الفضاء بوصفه معادلا للمكان عنصر مكون أساسي وفاعل يتحكم بالأحداث يذكر حميد حميداني: "إن الرواية مهما قلص الكاتب مكانها تفتح الطريق دائما لخلق أمكنة أخرى ولو كان في المجال الفكري لأبطالها"¹.

2- الفضاء النصي: (Lespace Tesctuel)

"هو فضاء مكاني أيضا غير أنه متعلق فقط بالمكان الذي تشغله الكتابة الروائية أو الحكائية - باعتبارها أحرف طباعية- على مساحة الورق ضمن الأبعاد الثلاثية للكتاب"²، والقصد من هذا هو أن هذا الفضاء يرتبط ارتباطا وثيقا بالفضاء الطباعي، حيث تتحرك عين القارئ، إذ أنه يهتم بالمظهر الخارجي للرواية، فهو بحسب حميداني " بكل بساطة فضاء الكتابة الروائية باعتبارها طباعة"³. كما نجد ميشال بوتور (Michel Boutour) يولي اهتماما كبيرا لهذا الفضاء حيث أبان عن مجموعة من مظاهر تشكل فضاء النص، لا تهم الرواية فقط بل يمكن مصادقتها في جميع الكتب، وهذا ما أشار إليه حميداني في كتابه بنية النص السردي، وأهمها:

1- الكتابة الأفقية: وهي استغلال الصفحة بشكل عادي بواسطة كتابة أفقية تبتدئ من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، وإذا لم تكن هذه الكتابة مبرزة يمكن أن ندعوها كتابة أفقية بيضاء، وقد تعطي هذه الطريقة في الكتابة الانطباع بتزاحم الأحداث أو الأفكار في ذهن البطل الرئيسي في النص الروائي أو القصصي....

والشكل 1 الآتي يوضح هذا النوع من الكتابة:



الشكل 1:

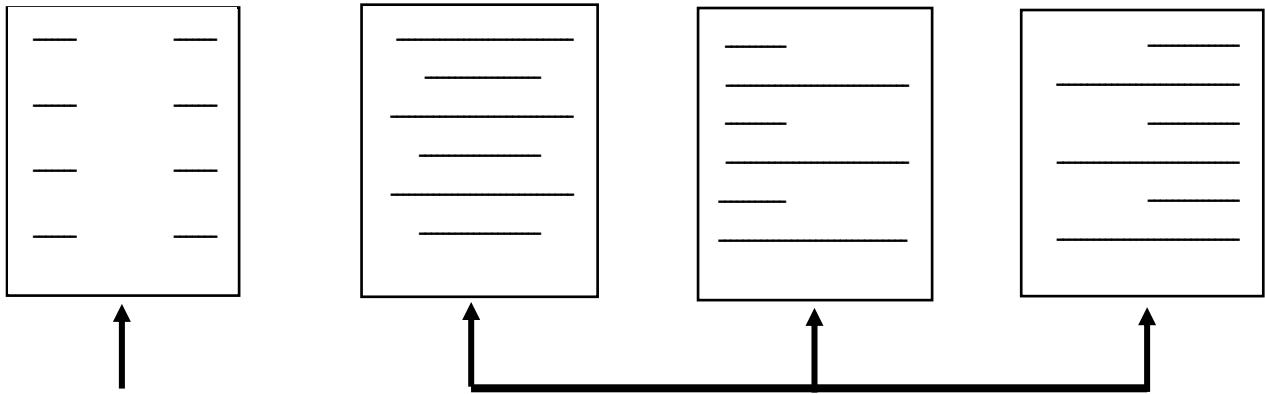
¹حميد حميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص63.

²المرجع السابق، ص62.

³المرجع نفسه، ص53.

2- الكتابة العمودية: وهي استغلال الصفحة بطريقة جزئية فيما يخص العرض كأن توضع الكتابة على اليمين أو في الوسط أو في اليسار، وتكون عبارة عن أسطر قصيرة لا تشغل الصفحة كلها، وتتفاوت في الطول بين بعضها البعض... وتبين الأشكال التالية أوضاع الكتابة العمودية والكتابة العمودية المتوازية.

الشكل 2 الشكل 3 الشكل 4 الشكل 5



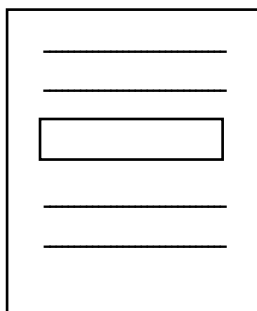
الكتابة العمودية المتوازية

ة ويأتي عادة و

أوضاع الكتابة العمودية

3- التأطير:

بيضاء، وقد يأتي داخل إطار من الكتابة متنوع وكثيرا ما يبدل على شدة انتباه القارئ إلى قضية محددة في الزمان والمكان، ويقوم أيضا بدور التحفيز الواقعي في النص ومن الطبيعي أن الشكل العام للصفحة يتغير باستخدام التأطير فيأتي كالتالي:

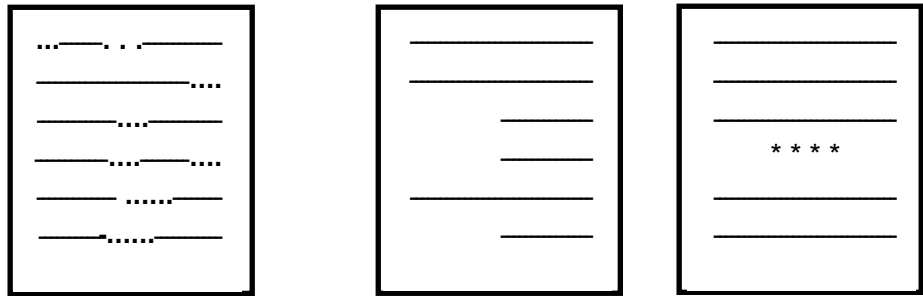


الشكل 6

4-البياض: يعلن البياض عادة عن نهاية فصل أو نقطة محددة في الزمان والمكان، وقد يفصل بين اللقطات بإشارة دالة على الانقطاع الحدتي والزمني كأن توضع في بياض فاصل ختمات ثلاث كالتالي (***) .

على أن البياض يمكن أن يتخلل الكتابة ذاتها للتعبير عن أشياء محذوفة أو مسكوت عنها داخل الأسطر، وفي هذه الحالة تشغل البياض بين الكلمات والجمل نقط متتابعة قد تنحصر في نقطتين وقد تصبح ثلاث نقط أو أكثر....

الشكل 7 الشكل 8 الشكل 9



5-ألواح الكتابة: قليلا ما تصادف ألواح من الكتابة المختلفة في النص الروائي، فهذا يوجد في المؤلفات ذات الطابع التقني، أو مؤلفات الترجمة التي تحضر النص الأصلي إلى جانب النص المقابل...

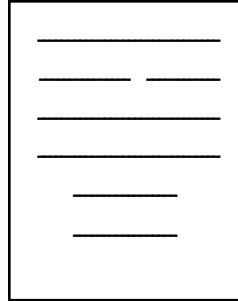
نص فرنسي	نص عربي
_____	_____
_____	_____
_____	_____
_____	_____
_____	_____
_____	_____

الشكل 10:

6-التشكيل التيبوغرافي: أتاح تصور تقنية الكتابة بالوسائل العلمية الحديثة الحصول على أشكال من الكتابة لم تكن متاحة من قبل، وأهمها الكتابة المائلة والممططة ويستعمل هذان الشكلان عندما

يراد تمييز فقرات بكاملها داخل الصفحة أو عند الاستشهاد ولا ينحصر تشكيل الكتابة في هذين الشكلين: فاستخدام الكتابة البارزة وتشكيل العناوين الداخلية بخطوط مختلفة في هذا النطاق¹.

الشكل 11:



ويقول فيصل الأحمر بأن التشكيل: "يتمثل في الغلاف الأمامي الخارجي للنص الروائي خاصة، ونجد أنماطا مختلفة منه في رواياتنا الحديثة من مثل: تشكيل واقعي، وتشكيل تجريدي"². كما نجد محمد عزام يقول: "أنه كل هذه المظاهر داخلية في تشكيل المظهر الخارجي للرواية، ولها دلالة جمالية وقيمية: فوضع الاسم مثلا في أعلى الصفحة يعطي انطبعا يختلف عنه إذا وضع تحت العنوان"³.

من خلال ما سبق نستنتج أن هذا الفضاء ليس له علاقة بالفضاء الجغرافي الذي يمثل الحاضنة الاستيعابية للأحداث، وإنما يمثل طريقة عرض العمل الروائي فيوجه القارئ إلى فهم هذا العمل.

3-الفضاء الدلالي: (L'espace Sèmantique)

" يشير إلى الصورة التي تشكلها لغة السرد وما يترتب عنها من أبعاد مرتبطة بالدلالة المجازية"⁴. والمعنى من هذا هو أن هذا النوع من الفضاء عند حميداني يتعلق بالصورة المجازية وما ترمز له من أبعاد دلالية، وبتغيير مغاير فإنه يرتبط بالمعنى وتعدده وتعدد دلالاته بناء على الصور المجازية.

¹المرجع السابق، ص56-59.

²فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم، ط1، 2010، ص131.

³محمد عزام، شعرية الخطاب السردية، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 2005، ص74.

⁴حميد حميداني، بنية النص السردية من منظور النقد الأدبي، ص62.

ونجد حورية الظل في كتابها الفضاء في الرواية العربية الجديدة تقر هي الأخرى بأن الفضاء الدلالي هو: " ما يجيل عليه الفضاء من أبعاد ودلالات وصور مجازية تخلقها لغة الحكيم"¹. كما نجد جيرار جونات (Gerard Genette) يشرح طبيعة هذا الفضاء على الشكل التالي: "إن لغة الأدب بشكل عام لا تقوم بوظيفتها بطريقة بسيطة إلا نادرا فليس للتعبير الأدبي معنى واحدا، إنه لا ينقطع عن أن يتضاعف ويتعدد إذ يمكن لكلمة واحدة مثلا أن تحمل معنيين تقول البلاغة عن أحدهما بأنه حقيقي، وعن الآخر بأنه مجازي هناك إذن فضاء دلالي (Espace sémantique) يتأسس بين المدلول المجازي والمدلول الحقيقي"²، أي أنه ليس لهذا الفضاء مجال مكاني ملموس في العمل الروائي بل إنه فضاء معنوي " فمن المعروف أن المكان الروائي هو المكان اللفظي المتخيل، أي المكان الذي صنعه اللغة انصياعا لأغراض التخيل الروائي وحاجاته، وهذا يعني أن أدبية المكان أو شعرية مرتبطة بإمكانيات اللغة على التعبير عن المشاعر والتصورات المكانية"³.

4-الفضاء كمنظور أو كمنظورية: (L'espace comme perspective ou vison)

"ويشير إلى الطريقة التي يستطيع الراوي الكاتب بواسطتها أن يهيمن على عالمه الحكائي بما فيه من أبطال يتحركون على واجهة تشبه واجهة الخشبة في المسرح"⁴. من خلال هذا يتضح أن رؤية الكاتب هي المهيمن والمسيطر على جميع عناصر الرواية وفضاءاتها فنجد جوليا كريستيفا (julia Kristeva) ترى: " أن الفضاء مراقب بواسطة وجهة النظر الوحيدة للكاتب، والتي تهيمن على مجموع الخطاب بحيث يكون المؤلف متجمعا في نقطة واحدة، وتشبه كريستيفا الرواية بالواجهة المسرحية، فالعالم الروائي بما فيه من أبطال وأشياء يبدو

¹ حورية الظل، في الرواية العربية الجديدة، دار نينوى، سوريا، دمشق، ط1، 2001، ص27.

² حميد حميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص60.

³ سمر روعي فيصل، الرواية العربية البناء والرؤيا، ص39.

⁴ حميد حميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص62.

مشدودا إلى محركات خفية يديرها الكاتب وفق خطة مرسومة، وهذا يشبه ما يسمى بزواية رؤية الراوي أو المنظور الروائي"¹.

كما نجدها في كتاب بنية النص السردي لحميد حميداني تتحدث عن هذا النوع تحت ما أسمته "الفضاء النصي" للرواية فلم تجعل له نفس دلالة الفضاء النصي الذي تحدثنا عنه سابقا، إنها تتحدث عما يشبه زاوية النظر التي يقدم بها الكاتب أو الراوي عالمه الروائي فنقول: "هذا الفضاء محمول إلى كل إنه واحد، وواحد فقط، مراقب بواسطة وجهة النظر الوحيدة للكاتب التي تهيمن على مجموع الخطاب بحيث يكون المؤلف بكامله متجمعا في نقطة واحدة، وكل الخطوط تتجمع في العمق حيث يقبع الكاتب وهذه الخطوط هي الأبطال الفاعلون (Les actants) الذين تنسخ الملفوظات بواسطة المشهد الروائي"².

من خلال ما سبق ذكره نستنتج أن هذا النوع يرتبط ارتباطا وثيقا بالكاتب أو الراوي فهو مادة جوهرية لكتابة الرواية وعنصر هام وأساسي لبناء وإقامة الحدث الروائي إذا أنه راسم الخطة العامة للرواية فلا يمكن إلغاؤه أبدا.

سابعاً: أهمية الفضاء في الرواية

يحتل الفضاء مكانة بالغة الأهمية في العمل الأدبي الروائي خاصة، إذ يعد الأرضية التي تتفاعل فيها كل العناصر الروائية، فهو الإطار الذي تجري فيه الأحداث وتتحرك فيه الشخصيات، فهو إذاً المحور الأساسي والمكون الأول لبنية الرواية، " فالرواية - وما تحمل من مكونات - باعتبارها جنسا أدبيا، تعد بنية لغوية مشكلة من عدة بنيات صغرى، نجد الفضاء من بينها، حيث تتم قراءته باعتباره بنية داخلية في تكوين بينة أكبر وهي الرواية"³، وتقول نصيرة زوزو عن الفضاء: " هو المادة الجوهرية للكتابة الروائية على وجه الخصوص، إذ لا يخلو أي عمل من استحضار هذا المكون، الذي يعتبر

¹ محمد عزام، شعريّة الخطاب السردي، ص75.

² حميد حميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص61.

³ مشري بن خليفة، حمزة قريرة، الفضاء الروائي بنية وعلامة، مجلة الأثر، ع10، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2011، ص292.

السند الأساس له والملفوظ الرئيسي المشكل لنسيجة، إنه إحدى هوياته التي لا يمكن إغفالها أو اختزالها، وإلا عد العمل ناقصا ومبتورا¹.

لم ينل الفضاء الروائي هذه المكانة الكبيرة إلا حديثا فهو من "المصطلحات النقدية التي دخلت عالم الدراسات والبحوث حديثا، وفرضت نفسها بقوة بعد أن أهملت سابقا بسبب انصراف النقاد والباحثين إلى التركيز على العناصر أخرى كالزمن والشخصيات والأحداث... إلخ، ولكن الفضاء في الحقيقة يعد هو أيضا عنصرا أساسيا من عناصر النص الروائي، وقد أدرك ذلك شلة من الباحثين بعد الحرب العالمية الثانية، فأولوه اهتماما لائقا، سواء من حيث التنظير أو الممارسة التطبيقية"².

ومنه فقد تناول الدارسين والباحثين في مختلف الدراسات أهمية الفضاء الروائي وخصوصا بالدراسة علاقته الوطيدة بالأمكنة حيث نجد حميد حميداني يقول: "إن هذا الفضاء يتأسس دائما حتى من خلال تلك الإشارات المقتضبة للمكان، والتي غالبا ما تأتي غير منفصلة عن السرد ذاته، ولعل هذه المسألة تؤكد لنا أهمية التمييز النسبي الذي حاولنا أن نقيمه بين المكان والفضاء"³، بهذا يصبح الفضاء عنصرا أساسيا في بناء الرواية، أما الأمكنة فلها دور مهم في سيرورة الأحداث فبمجرد الإشارة إلى مكان ما نفهم أنه قد وقع فيه أمر ما بل إن ذكره يقودنا إلى انتظار وقوع الحدث، لأنه وببساطة لا يمكن بتاتا وجود شخوص تمارس أدوارا دون أن يكون هناك فضاء للممارسة، ومنه فإن المكان ركيزة رئيسية في تشكيل وبناء عصب الرواية، وحسب حميد حميداني فإن أهمية المكان في الرواية تكمن في كون أن تشخيصه في الرواية، "هو الذي يجعل من أحداثها بالنسبة للقارئ شيئا محتمل الوقوع، بمعنى يوهم بواقعيتها أنه يقوم بالدور نفسه الذي يقوم به الديكور والخشبة في المسرح،

¹ نصيرة زوزو، إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر، ص3.

² فيصل الأحمر، معجم السميائيات، ص123.

³ حميد حميداني، بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، ص67.

وطبيعي أن أي حدث لا يمكن أن يتصور وقوعه إلا ضمن إطار مكاني معين، لذلك فالراوي دائم الحاجة إلى التأطير المكاني غير أن درجة هذا التأطير وقيمته تختلفان من رواية إلى أخرى¹.

فمكون الفضاء إذا هو التيمة الرئيسية والجوهرية لنسج أي عمل أدبي، والعمل الروائي بصفة خاصة إذ أنه المتصرف في وقوع الأحداث والمتحكم فيها "باعتباره المؤلف بين مكوناتها حيث يلف - الفضاء - مجموع الرواية بما فيها الأحداث المسرودة التي لا يمكننا تحديدها إلا في إطار استمرار المكان الذي يلفها ويظل موجودا أثناء جريانها"²، فالتساع رقعته أكسبه وأناله الأهمية الكبيرة مما جعل علاقته بالرواية علاقة تكامل وانسجام، بل ترابط وتشابك فلا وجود لرواية دون فضاء، لقد صار الفضاء إذا سبب النتاج ذاته.

وكملخص لهذا الفصل نقول عن الفضاء الروائي أنه أهم عنصر في بناء الرواية، وبدونه لا وجود لأرضية تتحرك داخلها الشخصيات ولا الأحداث كذلك، حيث نجده مرتبط بالشعور الإنساني، و بالأمكنة التي تتواجد فيها الشخصيات الروائية .

¹المرجع السابق، ص 65.

²مشري بن خليفة، حمزة قريرة، الفضاء الروائي بنية وعلامة، ص 201.

الفصل التطبيقي: تجليات الفضاء

الطارد والفضاء الأليف في رواية

الزنجية لعائشة بنور

أولاً: الفضاء الطارد

عند الحديث عن الفضاء الطارد يأخذنا التفكير إلى الأماكن مباشرة لأن فعل الطرد والمكان لهما ارتباط وثيق في موضوعنا هذا، فأصل الطرد الذي تواجهه الشخصية الروائية هو من قبل الأماكن، فتصبح بعد الطرد ذلك المكان الطارد الذي تنبعث اتجاهه مشاعر النفور والهروب ومن هذه الأماكن نجد البئر.

1- البئر:

هو عبارة عن حفرة يستخدمها الناس لاستخراج الماء وعادة ما يكون في الريف أو في تلك المناطق النائية التي يصعب فيها الحصول على الماء فيلجؤون إلى مياه البئر لحاجاتهم اليومية، ففي الرواية مثلاً نجد أن البئر من الأماكن التي تترادها كثيراً البطلة بلانكا لجلب الماء، حيث كان هذا البئر هو المصدر الوحيد لأهل القرية من مختلف الفئات والأعمار وهو ما يؤدي في بعض الأحيان إلى مشاجرات بينهم وهذا ما عانت منه البطلة بلانكا، فتقول: "منذ تباشير الصباح أسلك مسافة طويلة للوصول إلى البئر وجلب الماء، بئر واحدة في قرية نائية تتزاحم عليها... ومنتظر الطابور الذي لا ينتهي، وفي الغالب يفضي الانتظار الممل إلى مشاحنات بيننا"¹، وهذا ما يمثل لها معاناة حقيقية وفي هذا تقول: "هي حقا معاناة لا تنتهي"².

كما عبرت عنه بأنه مكان الحزن والقهر، فهناك سمعت بلانكا صراخ أم الطفل "طوقو" الذي توفي بسبب الجوع، فهذا ما شكل لبلانكا ألماً وحزناً نفسياً كان عكاس لما عاشته أم الطفل بموت طفلها جوعاً، وهذا ما نجده في مقطع من الرواية: "قالت لي، وهي تنظر إليّ دون أن تتفوه باسمي وتتلعثم في الكلام، ثم ترفع بصرها نحوي:

-يديا خاليتان... أنظري، خاليتان؟

قلت موجوعة

¹-عائشة بنور، رواية الزنجية، دار ريادة للنشر والتوزيع، ط2، 2021، ص 11-12.

²- المصدر نفسه، ص 12.

آه... من المملاريا؟

ردت بمرارة:

- مات ابني جوعاً؟¹

هذا ما يمثل الجوع والفقر الذي يعاني منه أناس هذه القرية فكان أكبر أحلامهم حصولهم على رغيف خبز يكتمون به جوعهم، كما نجد أيضاً أن هذا البئر يحمل في جوفه الحياة والموت في آن واحد فهو مصدر الماء الذي صار لعنة على القرية، فأصبح الموت بالملاريا أمراً طبيعياً بالنسبة لهم، فهو فضاء الحزن والألم فتقول بلانكا: "مساحة الحزن تملأ الحيز"²، كما نجد أن هذا المكان غير مرتبط إلا بالذكريات السيئة، كتلك التي كانت لها مع صديقتها "آيدي" عند البئر حيث كانت تسرد ما حصل لها من جرائم من قبل رجال كانوا يحملون مرض الإيدز فهي تصارع موتها، وذلك كما جاء في الرواية: "أذكر صديقتي آيدي التي فرت من بلدها كانت تخبرنا عند البئر وهي مرعوبة قائلة: الفتيات الصغيرات تغتصب من رجال خصصوا لذلك... هؤلاء الرجال مرضى بداء الإيدز"³، وتضيف أنها كانت تعاني من الجوع والخوف في ذلك المكان الذي يفقدها الإحساس بالأمان فتقول: "كنت أسيرة حاجات كثيرة، أسيرة الجوع وأسيرة الخوف، كلاهما يصفعني بقوة، لم أشعر بحريتي لأن الجوع أفقدني الإحساس والأمان وكل ما حولي يربيني"⁴، فكل هذا قد زاد من معاناة بلانكا ومن حزنها الذي لا ينتهي فحديث آيدي عما عاشته أثر كثيراً في نفسها وهذا ما عبرت عنه بقولها: "وما كان يؤلمني أكثر، هو حينما أتذكر ما قالت له لنا آيدي عند البئر"⁵.

فالبئر مكان يرمز للبؤس والمعاناة، لارتباطه بأحداث وقصص حزينة تلك القصص المرتبطة بمعاناة أهل القرية، لذلك يتحول هذا المكان من مكان للألفة واللقاءات الحميمة والتجمعات والحكايات الجميلة

¹-المصدر السابق، ص 16.

²-المصدر نفسه، ص 15.

³-المصدر نفسه، ص 49.

⁴-المصدر نفسه، ص 50.

⁵-المصدر نفسه، ص 62.

إلى مكان يحمل كل ذكرى أليمة، والغرابة أن مصدر الماء وهو مصدر الحياة يصير معادلا للبؤس والموت.

2- الكوخ:

هو عبارة عن مأوى يسكنه أناس ما في مناطق معينة حيث يمثل بالنسبة لهم البيت الذي يعيشون فيه، وعادة ما يكون هذا الكوخ مكانا للراحة والاحساس بالدفء والأمان، أما في الرواية فيمثل هذا المكان بالنسبة لبلانكا مكان قهرها وعذابها وأول صرخاتها، ففي نفس هذا الفضاء مورست عليها أعظم أنواع الجرائم.

كما جاء في الرواية وهو ختانها من قبل امرأة عجوز تدعى "مُو" فتصفها بقولها: "والعجوز مُو بأنفها المعقوف تطبع ابتسامة النصر على محياها، ورأسها كالطوم يلفت يمينا وشمالا كالتي تبحث عن شيء ما، نسيت للحظة تحت شدة صراخي والأخريات أنّ السكّين تحمله في يدها اليسرى، كاشفة عن قبح مخيف يسكن قلبها"¹، فحسب وصف بلانكا لها كانت امرأة عجوز لا ترحم ولا تأبه لصراخ الصغيرات بحيث لا يهتمها أمرهم، وبالمقابل نجد أن بلانكا لا تشعر اتجاهها إلا بشعور الكراهية وهذا ما عبرت عنه بقولها: "وعيناى تحدقان فيها بكراهية"²، وهذا القول يفسر لنا الشعور بالكراهية الذي تشعر به بلانكا تجاه هذه العجوز والسبب هو الفعل الذي قامت به هذه العجوز في هذا المكان وهو ختان بلانكا وفتيات أخريات، فهذا الفضاء بالنسبة لها فضاء يمثل الكآبة والوحشة حسب تعبيرها: "شعرت بالنفور من الجميع في المنطقة ومن في الكوخ ، وأحسست بالكآبة والوحشة"³، فهو ذلك المكان الموحش، ومكان عذابها الأول ومصدر كآبتها وتغيير حياتها، فبسبب ما عاشته في هذا المكان ظلت تعاني حتى بعد مرور سنوات، وظل المشهد في ذاكرتها وهي في ديار الغربة فنجدتها تعبر عن هذا في مقطع من الرواية فتقول: "امرأة تختفي عن الأنظار هاربة، تختفي

¹-المصدر السابق ، ص 24.

²- المصدر نفسه، ص 25.

³-المصدر نفسه، ص 35.

جسدها بين الظلال من اغتصاب أو ختان وحشي... امرأة تبحث عن الأمان، هاربة من مرض إيولا الفتاك، وداء السيدا اللعين، ومن شفرة السكين"¹.

كما نجدها تصف هذا المكان بجل الألفاظ السيئة والبذئفة فتعبر عن قهرها وحزنها فتقول: "كل هذه المشاعر وهذا الانفصال اعتبرتهما شعورا جديدا، ما كان ليكون لولا هذا الخوف من الآخرين، ومن الكوخ المقفر والموحش"²، فأصبح فضاء موحشا مُرعباً لها.

فهذا الفعل الشنيع الذي مورس على جسدها بالغضب بحجة الطقوس في منطقتهم ظلت البطة بلانكا تعاني منه نفسيا وجسديا.

3-مدينة آرليت أو منجم آرليت:

المنجم عادة يكون مكانا لاستخراج العديد من المعادن ، هذه المعادن تشكل ثروة اقتصادية فننعم بلادها بوفرة الخيرات، وينعم شعبها خاصة بحياة تتوفر على جميع متطلباته، أما في الرواية فمدينة آرليت تحولت من أرض الذهب والحياة إلى أرض الوباء والموت، وهذا ما نجده في الرواية: "آرليت مدينة المناجم، وأرض الذهب، أصبحت منطقة موبوءة، يلفها كما قال صديقي فريكي كفن من الغبار المشع نوويا، وملايين الأطنان من هذه المخلفات تذروها رياح الصحراء، فتبعث في أنفاسنا رائحة الموت البطيء"³، وتضيف في وصفها لهذا المكان على أنه مكان العيش فيه مقرف فالفضاء الصحراوي الذي نعرفه على أنه ذلك الجمال الذي تزينه كثبانه الرملية وطبيعته الصحراوية التي تعرف بأنها وجهة سياحية يقصدها الناس فتضفي على نفسيتهم إحساسا بالراحة والطمأنينة والسكون، فنجد هنا في الرواية قد أصبح فضاء طاردا سلبيا بالنسبة للشخصية بلانكا لا يحمل سوى الحزن والألم فتعبر عن هذا بقولها: "في هذا المكان الموحش والمقفر، الأفق الجميل اعترته غمامة صفراء وسوداء، ولم تعد الصحراء في نظري ذلك الجمال الساحر الذي يبهر السائح منذ الوهلة الأولى"⁴.

¹- المصدر السابق، ص 188.

²-المصدر نفسه، ص 37-38.

³-المصدر نفسه ، ص 12.

⁴-المصدر نفسه، ص 12.

فهذا المنجم الذي من المفروض أنه يعيد الحياة أصبح يحصد الموتى وهذا سببه التلوث من النفايات والمياه السامة التي سببت الأمراض والأوبئة فقتلت الحياة هنا وهذا ما نجده في مقطع من الرواية: "الموت حصد العديد من الناس بسبب إشعاعات منجم آرليت، وشدة التلوث البيئي بالمخلفات الذرية، والتلال المتراكمة من النفايات السامة والمياه الملوثة قضت تقريبا على كل شيء ينبض بالحياة حتى الهواء الذي نتنفسه اختنق"¹، فهذا الفضاء الذي أصبح بالنسبة لبلانكا موردا للبؤس والمعاناة هم كذلك بالنسبة لفريكي (زوج بلانكا) الذي كان يعمل بهذا المنجم: "يجر عربة محملة بالنفايات من المنجم"²، فكان يعاني من سلطة السيد "روبرت" الذي لا يأبه لمعاناته في هذا العمل وهذا ما يمثله مقطع في الرواية: "اخشوشنت يده الطريتان من شدة الجر، وأحيانا كثيرة تتورمان ولا يستطيع سحب العربة، وهو يعاني من سعال شديد كبقية أبناء المنطقة، فينهره السيد "روبرت" قائلا: "هيا بسرعة، وإلا لن تنال مصروف اليوم كبقية الشباب"³، فرغم كل هذه المعاناة وهذا التعب والإرهاق في هذا العمل إلا أن الجوع ظل يلازمهم، وهذا ما نجده في قولها: "وحينها يفرغون من عملهم يرمون بأجسادهم النحيلة والجائعة على الرمل الحار من شدة الإنهاك والجوع"⁴، فالمعاناة هنا لا تنتهي ففي هذه المدينة صعب أن تجد لنفسك عملا، هذا ما كان يعاني منه فريكي وكذلك بقية الشباب، فيتذكر أيامه في ذلك المنجم وخاصة صديقه رامبو الذي كان يعمل معه فيقول عنها أنها أيام عصيبة مرت كأنها الدهر وهذا ما نجده في الرواية: "تتذكر الأيام العصيبة التي مررنا بها في المنجم، كل ذلك كان في لحظات، وكأنها الدهر كله"⁵، ويضيف أيضا عما عاناه بسبب عمله هناك من مرض التهاب الرئة وعديد الأمراض الجلدية التي كانت تصيبهم، فبسبب هذا توقف عن العمل بهذا المنجم، فيقول فريكي في مقطع من الرواية: "ذكرني رامبو بالاختناقات التي كنا نتعرض لها داخل المنجم من حين لآخر، وتذكرت معه صعوبة التنفس التي لازمتني مدة طويلة والتي تبين لي فيما بعد

¹-المصدر السابق، ص 14.

²-المصدر نفسه، ص 43.

³-المصدر نفسه، ص 43.

⁴-المصدر نفسه، ص 44.

⁵-المصدر نفسه، ص 91.

أنه التهاب رئوي حاد نتيجة عملي بالمنجم إن لم يكن سرطانا رئويا، لحد الساعة لا أعرف، ناهيك عن الأمراض الجلدية الغربية التي كانت تصيب العمال، ثم توقف عن العمل به".¹

4-القيتو:

وجمعها القيتوهات كما جاءت في الرواية عبارة عن مكان يلجؤون إليه بلانكا وعائلتها بغية الاختفاء حتى تأتي لحظة الفرج التي ينتظرونها وهذا ما نجده في الرواية: "هو أماكن سرية مخصصة من طرف المهربين المهاجرين التعساء مثلي نتخفى فيها عن أنظار المراقبة لوقت الانطلاق... وأنا هنا أنتظر وعائلي الرحيل باتجاه الجزائر أو ليبيا، وهكذا وعدنا المهربون"²، فكان الانتظار يقتلهم فحتى الوقت أصبح بالنسبة لفريكي زوج بلانكا يمر بكل ببطء وكل واحد منهم كان ينتظر جمع المال بكلل مرارة، فالانتظار قد طال بهم جميعا، وهذا ما نجده في مقطع من الرواية: "داخل القيتوهات، الوقت يمر ببطء شديد، كل واحد يتفقد هاتفه، ينتظر مكاملة الفرج، شفاه تحتسي فناجين القهوة أو الشاي على رشفات بطيئة، وعلى مريض تقتل مرارة الانتظار والذي طال أمده بالنسبة للجميع"³. حيث يبقون هنا في هذا المكان ولكل واحد نصيبه في مدة البقاء إلى غاية اكتمال جمع المال؛ فالواحد منهم يظل شهرا واحدا والآخر يظل أشهرا عديدة، أما الرحلة للهجرة فتبدأ من منتصف الليل وهذا ما نجده في مقطع من الرواية: "في القيتوهات نبقى مدة طويلة وهناك من تعدى بقاؤه الشهور، استعدادا للرحلة القادمة في هذه الأثناء يتم تجميعها، وتصنيفنا إلى مجموعات، وهناك من يبقى ينتظر حتى يكمل جمع المال إلى المهرب والانطلاق يكون في منتصف الليل من كل رحلة"⁴، فالقيتو الذي كان لهم كابوس يتذكرون فيه أياما خلت لهم بصعوبة كبيرة ويرجع هذا لما حكته الشخصية "ماري" من آلام ومصاعب في حيز وصفته بالمنكسر وهذا ما نجده في قول بلانكا: "لاحت أمامي صورة المرأة ماري التي التقيت بها داخل القيتو، وهي تحذرنى وأخريات من مغبة الذهاب إلى ليبيا، حكاية أخرى،

¹-المصدر السابق، ص 91.

²-المصدر نفسه، ص 90.

³-المصدر نفسه، ص 95.

⁴-المصدر نفسه، ص 105.

فظيعة ومؤلمة كانت تجربنا بها المرأة داخل ذلك الحيز الذي يشبه ذواتنا الخائفة والمنكسرة"¹، كما أن فريكي لا يشعر بالأمان والراحة في هذا المكان، فيظل خائفا مستيقظا لا ينام، هذا ما يفسر شعوره بالغرابة في هذا الفضاء وهذا ما تبين من خلال قول بلانكا: "قضى ساعات طويلة من الليل مستيقظا يتربص المكان بحذر شديد، وكنت أتفقده من حين لآخر وأهمس إليه:

أمازلت مستيقظا؟

ويومئ لي برأسه مهدئا"².

5- النيجر:

"تدعى رسميا جمهورية النيجر، وهي إحدى دول غرب إفريقيا، عاصمتها نيامي، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى نهر النيجر المتدفق عبر الجزء الجنوبي الغربي من أراضيها"³.

"تغطي النيجر مساحة تبلغ 1267000 كيلو متر مربع من منطقة الساحل إلى الشمال من نيجيريا وتحيط بها اليابسة من كل الجهات"⁴، أي أنها دولة حبيسة.

وتعد هذه الدولة من أفقر دول العالم في ظل معدل فقر يبلغ 48,9 في المائة.

قدر عدد سكانها عام 2016 بنحو 19,8 مليون نسمة، ويبلغ معدل نموها السكاني 3,9 في المائة سنويا، وهو واحد من أسرع معدلات النمو في العالم.

سياسيا، النيجر عرضة لعدم الاستقرار، أما اقتصاديا فيشكل إنتاج اليورانيوم والنقطة حجر الزاوية، ولكن الزراعة مصدر هام لإيرادات التصدير.

تعد النيجر واحدة من أكثر المناطق حرارة في العالم، إذ تتميز بمناخ حار وقاحل، وتسبب موجات الجفاف المتكررة في أضرار بالموارد الطبيعية⁵.

¹-المصدر السابق، ص 110.

²-المصدر نفسه، ص 112.

³-النيجر، جمهورية النيجر، الموسوعة الجزيئة 2014 /10/29، www.aljazeera.net، يوم الخميس 4 أبريل 2024-18 سا -45د.

⁴-International .Fund for Agricultural Development-

يوم الخميس 4 أبريل -2024-19 سا-02 /البلد/ www.ifad.orgopratio

⁵-الموقع نفسه .

لكلّ شعبٍ من شعوب الأرض عادات وتقاليد خاصّة، وشعب النيجر يتمسك بمجموعة من العادات والتقاليد لا تسمح بالإخلال بها أبداً، وتعتبر البساطة واحدة من أهم عاداتها وتقاليدها، فهم شعب ودود وبسيطٌ في كل شيءٍ ويجب الخير لبعضه البعض، حيث أنّه لا وجودَ للتشدد في النيجر وذلك يتضح من خلال تعدّد أو تنوّع الأديان (الإسلام، المسيحية...) ¹، وككل شعب له عادات جميلة وله أيضاً عادات سيئة، نجد في دولة النيجر عادةً تقشعر لها الأبدان، عادة تستطيع الإحساس بها فور وصفها وهي: خِتَانُ البنات التي لا يُذكر لها قانون سنّها ولا شريعة فرضتها. والرواية التي بين أيدينا "الزنجية" للروائية عائشة بنور، تناولت دولة النيجر على أنّها مسرح الجريمة الشنعاء أو العادة السيئة التي فرضت على الأنثى.

ونجد أنّ النيجر تمثّل فضاء سلبياً منبوذاً بالنسبة إلى بطلة هذه الرواية، المسماة "بلانكا"، حيث نجدها في مستهل الرواية تقول: "هنا الطبيعة قاسية، في هذا المكان، ارتبطت ملامحي بأشياء أكثر قسوة، وأشدّها حزناً" ²، وهو أوّل وصفٍ يدلُّ على أنّ هذه الدولة مكان سلبي وطارده ومنبوذ من طرف البطلة "بلانكا"، فهي هنا تصف المكان الذي تقيم فيه والذي هو جزء من النيجر أي "مدينة آرليت"، كذلك تصف "الصّحراء" في قولها: "هذا المكان الموحش المقفر" ³، فهي فقدت السّحر الذي كانت تراه فيها من قبل، وأيّ قبل هذه؟ إنّها قبل أن تُسلب منها أنوثتها وقبل أن تصرخ صرخة الألم التي نتجت عن شفرة السّكين.

فهي تقول: "أمّا اليوم فالحياة تهزمني منذ نعومة أظفاري وسرقت ابتسامتي طفلة تعانق الحزن والألم، منذ صرخاتها الأولى على شفرة السّكين" ⁴، وهذا إن دل على شيء فإنما يدلُّ على سوء العادات والتقاليد التي لا يستطيع شعب هذا البلد التخلي عنها، ومن هنا نجد العجوز "مُو" وهي المرأة التي تنفذ هذا الفعل الشنيع على البراءة-الفعل الذي جعل "بلانكا" تشمئز من موطنها وشعبها جمعاً لأنه لا يكثر لهذا- تقول لوالدة بلانكا بعد أن فعلت ما فعلت غير مكترثة: "إنّها التقاليد التي

1-الموقع السابق.

2-رواية الزنجية، عائشة بنور، ص 11.

3-المصدر السابق، ص 12.

4-المصدر نفسه، ص 13.

لا يمكن أن لا نعمل بها في المنطقة!"¹، هذا مع ارتسام ابتسامة عابرة على شفيتها مما زاد من الألم والحسرة في قلب بلانكا التي تغيرت حياتها من السيء إلى الأسوء.

بعد هذه الحادثة الأليمة بالنسبة لبطلّة الرواية التي أشعرتها بالتفور من والديها وجميع من في المنطقة وبعد مرور سنوات دون أن تنسى أو تبرا من التفكير بتلك العادة الوحشية كبرت "بلانكا" وهي تحمل من التعب والكآبة والآلام أطناناً، الفقر والحرمان والجوع والأمراض والأوبئة والعادات والتقاليد السيئة... كان حافظاً أو دافعاً كافياً ليجعلها تنفر من وطنها، الوطن الذي يعدّ أما حنوناً، أصبح بالنسبة لها سجنقضبانه كأسنان الضبّاع، تقول "بلانكا": "كنت أسيرة حاجات كثيرة، أسيرة الجوع وأسيرة الخوف، كلاهما يصفعني بقوة، لم أشعر بحريتي لأن الجوع أفقدني الإحساس، والأمان وكل ما حولي يُرعبني، وعيون كثيرة تتربصني ككتلة لحم شهية للعيون الجائعة"².

وبطلتنا "بلانكا" تستمر في وصف منطقتها وكيف يمرّ الزمان عليها والأحوال من سيء إلى أسوء حتى يبدأ التفكير في الهجرة والرحيل بطريقة غير مباشرة، فهي تسرد على مسامعنا وتحكي لنا عن أولئك الذين قرروا الرحيل فتقول: "لم نكن ننتمي للحياة، كلنا كنا ننتمي للموت سواء نحن الذين بقينا في المكان نترقبه، أو أولئك الذين قرروا الرحيل عنّا، وقطعوا المسافات البعيدة في الصحاري والقفار نحو ضفافٍ أخرى"³، ومن هنا ندرك أن هذا البلد كان فضاء طارداً إذ أنّ بعض سكان هذه المنطقة لم ينتقلوا إلى منطقة أخرى وإنما رحلوا من الوطن ككل وهذا يفسّر ويوضح الشعور السيء اتجاهه، لأنه مكانٌ لم يمنحهم الأمن والسّلام فلا حياتهم الاجتماعية مستقرّة، ولا ظروفهم السياسية والاقتصادية مطمئن، وما كان عليهم سوى الخروج لاجئين إلى بلدان أخرى بحثاً عن الأمان ولو في مآكلهم، وبلانكا تقول: "كانت الهجرة عن الوطن الأم إلى بلدان أخرى لأسباب سياسية خارجة عن إرادتنا، أو بفعل ظروف اجتماعية، اقتصادية، أو فكرية، أو أمنية، أو بحثاً عن الرّزق ورغيف الخبز، تعتبر بدايةً لمرحلة جديدة بعدما فشلت ثورة الجياع في المكان"³، بهذا فإن النيجر أضحت

1- المصدر السابق، ص 34.

2- المصدر نفسه، ص 50.

3- المصدر نفسه، ص 55.

فضاء يمثل التعاسة لمواطنيه واعترافات بطلة الرواية حول سوء المكان كثيرة: "المكان، جغرافيا موجود وبمفهوم الذات والحياة أعتبره غير موجود"¹.

"المكان مقموع، وشخصياته مقهورة، وتفاعل مأساوي رهيب نعيشه يوميا"²، إلى هنا لم تستطع بلانكا صنع فضاء مريح في هذا المكان أو بالأحرى في هذا البلد لأنها على صلة دائمة مع الذكريات الأليمة-الماضي-حتى بعد أكثر من عشرين سنة.

أصبحت الهجرة هي الحل الوحيد للحصول على ما سُلِب من الكثيرين من سكان المنطقة-آرليت-ومن هذا الوطن ككل، تذكر "بلانكا" أنّ صديقها فريكي كان يرغب في ذلك أيضا ويتضح ذلك من خلال قوله: "سأرحل عن المنطقة وأنت معي، سأرحل يصمت هنيهة ويواصل مؤكدا:
أنت معي..."³.

وتقول بلانكا مؤكدة عن الرغبة في الهجرة: "كنت أفكر كثيرا في التغيير بالرحيل مثله"⁴، والتفكير في هذا كان الأمل الوحيد للنّجاة من هذا الواقع المر والانتقال إلى حياة أفضل فقد كان فريكي يقول لبلانكا: "هناك حياة أفضل وأجمل بكثير في البلدان المجاورة"⁵، إلا أنّها لم تكن تشعر باللهفة نحو هذه الأماكن بل كانت كلّما حكى لها فريكي عنها تراها مبهمة ومظلمة، ومخيفة وموحشة وغريبة عنها وهنا نجد أنّ "بلانكا" لا تجد في أي مكان الطمأنينة التي ترجوها وكل مكان يشكل فضاء سلبي طاردا بالنسبة إليها.

لم تكن أحوال "بلانكا" تتحسن ولا أحوال المنطقة التي تعيش فيها وأيّ عيشة!؟

1-المصدر السابق، ص 55.

2-المصدر نفسه، ص 56.

3-المصدر نفسه، ص 66.

4-المصدر نفسه، ص 66.

5-المصدر نفسه، ص 66.

تزوجت "بلانكا" من "فريكي" وتوفي والدها "باموسى" ولازالت العادات والتقاليد نفسها تُطبق على البراءة... أنجبت بلانكا طفلة أسمتها "إفريقيا" وأصبح طموحها في إبعاد ابنتها عن شفرة السكين يزداد يوماً بعد يوم، وأصبح التفكير في ترك هذه الأرض أمراً محتوماً.

تردد "بلانكا" قول فريكي: "الناس الذين يعيشون في الجوار محظوظون بالماء والخبز..."¹، وهذا يشير إلى أنّ هذا المكان لم يعد صالحاً للعيش أبداً وبالتالي نستنتج أنّه فضاء لا ولم ولن يشعر أصحابه بالطمأنينة والراحة قطعاً، ثم أننا نجزم عن ذلك بعد قرار الهجرة والرحيل من طرف بطلة الرواية، والذي جاء ليثبت أنّ هذا البلد لا يحتوي على أقلّ الإمكانيات التي تمنح فرصة العيش الهنيء والحياة البسيطة على الأقل.

ومن الأمكنة الأخرى التي تشكل مصدر خوفٍ ورعب والتي تدخل في هذا الحيز-النيجر- تذكر الصحراء والتي لم تُذكر في صورة حسنة بهية في كل صفحات الرواية وإن ذكرت فإنما في مخيلة البطلة "بلانكا".

والصحراء في هذه الرواية تمثل الجزء الغامض الذي يخفي حقيقته إذ أن عبورها يمثل الأمل وجوفها يمثل الخطر، وجل العبارات التي كانت تحتوي على هذه اللفظة توحى بخطرها والرعب الشديد من التّية-الذي تسببه في نفوس المارين بها سواء المهاجرين أو سكّانها ومن العبارات الدّالة تذكر: "يمكن مغادرة المكان خشية التّية في جوف الصحراء"².

مما يؤكد على غموض هذا المكان وإحداثه نوعاً من الارتباك والخوف والذعر. "ترمي الجثث في الصّحراء..."³.

"...ظماً شديداً كاد يهلكنا في جوف الصحراء"⁴.

"نحن بالكاد نجونا من الهلاك في جوف الصّحراء..."¹.

¹-المصدر السابق، ص 80.

²-المصدر نفسه، ص 100.

³-المصدر نفسه ، ص 102.

⁴-المصدر نفسه ، ص 120.

فمن خلال الحزن والألم الذي تراكما في صدر "بلانكا" وبعض فتيات المنطقة-ولا نقول المنطقة فحسب لأننا نتحدث عن دولة من دول إفريقيا أو القارة السوداء- الذي تسببت فيه العادات والتقاليد التي يمكننا أن نختزلها في "شفرة السكين"، ومن خلال الفقر والجوع والحرمان ومن خلال الهرب أو الهجرة إلى بلدان أخرى قصد اللجوء وأملا في حياة أفضل، فإن هذا البلد فضاء لا يشعر أهله بالسكينة والهناء اللتان يجعلانه فضاء مسالما، وبالتالي فهو مكان معاد وفضاء طارد، كل من ينتمي إليه ويعيش فيه يلزمه الإحساس بالخوف والرّهبة وعدم الارتياح وهو منبع آلامهم ومصدر الكتابة والتعاسة، كما صورت الروائية عائشة بنور في روايتها "الزنجية".

6- الطريق "خط أغاديس":

الطريق، المسلك، المسار، المعبر، أو النهج، وهو شريط على الأرض يربط بين الأماكن، وهو أرض تمت تسويتها وتسطيحها، تستعمل في السفر والتنقل مشيا أم بواسطة المركبات أو حتى الحيوانات (كالحصان)، وهو ذات أهمية كبيرة قديما وحديثا.

أما أغاديس فهي أحد مدن دولة النيجر وتقع شمال البلاد، «تشمل هذه المنطقة مساحة نحو 667 ألف كيلومتر مربع، وتشكل بذلك أكبر مناطق النيجر، تحدها من الشمال ولاية تمنراست في الجزائر، وتحدها من الشمال الشرقي الحدود الليبية، ومن الشرق تشاد، وتحدها من الغرب منطقة كيدال في مالي»²، كما تتكون أغاديس من صحراء "شيري" وجبال "آير"، وخط أو طريق أغاديس هو طريق يربط بين النيجر وتمنراست (الجزائر).

وفي رواية "الزنجية" يمثل خط أغاديس المسلك الذي يؤدي إلى ضفة النجاة وبرالأمان، بالنسبة إلى بطلة الرواية "بلانكا" وزوجها "فريكي" وطفلتها "إفريقيا" وباقي المهاجرين الهاربين من خلاله، يقول فريكي: "طريق أغاديس أو آرليت هو الحلم"³، وعلى الرغم من هذا فإن عبور هذا الخط لم يكن سهلا مما جعله مكانا ييث في تلك النفوس التي تبحث عن الهدوء والأمان والخوف والرعب والرّهبة،

¹-المصدر السابق، ص 130.

²-الطرق: Les routes تعريف الطريق. eddirasa.com/ 2022 /12 يوم الجمعة 5 أفريل 2024، 16 سا-32د.

³-رواية الزنجية، عائشة بنور، ص 106.

وأول الأخطار التي كانت تترصد هذه المجموعة (المهاجرين): الماء، نعم فمن أجل وصولهم أحياء لا بد من توفر ماء يكفي المجموعة، لكن كلام الرجل الملتئم وهو قائد الرحلة نحو المجهول يدل على قلة الماء فنجده يقول: "رحلة أسبوع كامل عبر الصحراء. أو ربما أقل، ولا يمكن عبور كل هذا الطريق بدون ماء"¹، ويقول آخر: "انظروا... لدينا خزان واحد من الماء لعبور الصحراء، وهو لا يكفي المجموعة"²، ومما قد يثير الفزع في قلوبهم حسب المهرب الملتئم رؤية الجثث مترامية في هذه الأرض القاحلة نتيجة العطش والجوع، وقد يكون ذلك مصيرهم أيضا، وبهذا فإن هذا الطريق لا يمثل مكانا مسالما وأليفا يطمئنون لتواجدهم فيه.

كما نجد أن من الأخطار الأخرى التي تحرق بهم الرقابة الأمنية والجماعات المسلحة وقطاع الطرق وفعلا قد وقعت المجموعة في شباك الدُعر الشديد والخوف الذي يسلب الوجوه لونها، وقعوا تحت المطاردة من قبل الجماعات المسلحة، تقول "بلانكا": "في منتصف الطريق، وبعد قطع مسافة طويلة وتحديدًا في اليوم الثاني، لمحت عجاجا بعيدا يقترب...سمعنا من بعيد صوتدوي الرصاص، فشعرنا بالدُعر، وبدأ الغبار يزداد كثافة وكأنه يلاحقنا... كانت كل الوجوه خائفة، ومرعوبة بعد سماع تلك الطلقات النارية،... ثم صاح أبو بكر، قائلاً:

الجماعات المسلحة تطاردنا؟

ثم أردف:

الوضع لا يبشّر بالخير"³.

في تلك الأثناء لن يكون المهاجرون على متن تلك الشاحنة إلا مصابون بالدُعر والارتباك ولن يكون المكان سوى مكان منبوذ تقول بلانكا: "الموت تلبسنا، وحالة الرُعب المفزع التي عشناها أربكتنا"²، وهذا إن دل فإنما يدل على أنّ خط أغاديس يمثل مكانا معاديا سلبيا، لما سببته الأحداث

¹-المصدر السابق، ص 106.

²-المصدر نفسه، ص 107.

³-المصدر نفسه، ص 119.

²-المصدر نفسه، ص 119.

التي وقعت أثناء مرور عبره من أحاسيس سيئة ومُرهِقة عاشتها "بلانكا" وعائلتها وباقي المهاجرين فهو إذا مصدرٌ للإرهاق والتعب وبذلك فإنه فضاءً طارداً بالنسبة لها.

7-تمنراست

الاسم القديم تامنغست

ولاية من ولايات الجزائر، تقع في أقصى الجنوب، تتمتع بمناخ صحراوي حار وجاف، بالرغم من ذلك إلا أنّها مدينة سياحية فهي عاصمة للهقار موطن الأسطورة التوارق تينهان وعاصمة السّحر والجمال، بها أعلى قمة في الجزائر أسمها تاهات أتاكور والكثير من التّضاريس التي تجعل منها متحفا مفتوحا على الطبيعة.

وفي رواية "الزّنجية" وُظفت تمنراست كملجأ ومهرب ومَنفذ من واقع مرير عاشته البطلة "بلانكا" التي اختارت الهرب والهجرة من موطنها إلى وجهة شبه مجهولة، إلا أنّها كانت تمنراست على أمل النجاة من حرب الفقر والجوع والتّخلص من الذّكري الأليمة التي سببت لها شفرة السّكين وحفرتها بل ورسمتها كالوشم في ذاكرتها.

بعد الهجرة، أي بعد الوصول من النيجر إلى الجزائر وبالضبط إلى تمنراست، تفرّق المهاجرين كأن لا أحد يعرف الآخر، وحسب رواية "بلانكا"، كان الجوع والعطش يكاد يفتك بهم، لكنهم وجدوا ما يسدون به رمقهم هو ما جاءتهم به والدّة "بلانكا" من أحد المطاعم هناك.

وهذا لا يجعل من هذه المدينة مكانا مسالما بالنسبة لهم لأنه لم يمضي وقت كثير والعائلة أصبحت تتسول في الطريق، وهل التّسول من مظاهر الأمان والسّلام والألفة؟!، تقول "بلانكا": "مرّ أكثر من شهرين ونحن في هذه المدينة، ننام على الأرصفة وتتسول في الطرقات، ونتخفى عن أنظار المراقبة..."¹، وحسب ما ترويّه "بلانكا" فإنّها كلّما مرّ الزمن يمر من عمرها وعائلتها يوم ولم تتغيّر حياتهم بعد، فلم تتغيّر تمنراست من حياتها سوى أنّها أصبحت لاجئة متسوّلة لا بد أن تتسول رغيف يومها وإلاّ قضى الجوع عنها وعن أسرتها، ولم ينقص من حزنها وحسرتها شيء، ونجدها في الرّواية

¹-المصدر السابق، ص 127.

تصف لنا حالتها في هذه المدينة وهي حالة مزرية تدلّ على أنّ المكان ليس بالمكان الأليف تقول: "كل يوم تبنغ فيه الشمس باسمّة، يمرّ من عمرنا يوم جديد يسرق ملامح وجوهنا الحزينة والمتعبة. في هذه المدينة التي أهلكنا فيها التّجوال بين شوارعها القديمة"¹، فبطلة الرواية لم تتخلص من الإرهاق والتعب بخروجها من النّيجر وبمفارقتها لآرليت والبئر... لم ينته ألمها بمجرد الدخول إلى الجزائر عن طريق هجرة غير شرعية، ولم يكن الحلم حقيقة يوماً.

إنّ تمارست أيضا فضاء معاد وطارد بالنسبة إلى "بلانكا" إذ لم تجد الطمأنينة والرّاحة التي انطلقت باحثة عنها، والتي شقّت من أجلها خط أغاديس قاصدة تمارست التي لم تعد مدينة الأحلام.

8- البليدة:

ولاية من ولايات الجزائر، تلقّب بمدينة الورود، تحدّها شمالا الجزائر العاصمة وتيبازة ومن الشّرق ولايتي البويرة وبومرداس ومن الغرب عين الدفلى ومن الجنوب المدية. تتمتع البليدة بمناظر سياحية بهية الطلّة، فيذكر أنّها محاطة بالحدائق من الكروم ومختلف أصناف الفواكه، كما تشتهر بالحمامات المعدنية ومختلف الكنوز الطبيعية مما جعلها مقصد الكثير من السيّاح الذين يرغبون في قضاء فترات راحة واستجمام.

وفي رواية "الزّنجية" قد وظّفت الرواية عائشة بنور مدينة البليدة على أنّها مكان تقصده البطلة "بلانكا" رفقة زوجها فريكي وباقي العائلة بُغية الحصول على الألفة والرّاحة وأملا في تحسن أوضاعهم المعيشية والهدف المرجو هو الاستقرار، لكن الحياة لم تخبئ "بلانكا" على ما يبدو سوى التعب والخوف، إذ لازمها هذا الشعور طوال حياتها بل منذ نعومة أظافرها.

رحيل هذه العائلة من ولاية تمارست إلى ولاية البليدة لم يشكل ذلك الفرق الكبير على الرّغم من تجدد الأمل في قلوبهم في كل مرّة، بحثهم عن السّلام بات اختبارا لمدى القدرة على تحديد الأمل داخلهم، في بادئ الأمر وعند قرار فريكي فجأة مغادرة تمارست نحو البليدة، بدا الأمر مفرحا لأنه

¹-المصدر السابق، ص 130.

علق في ذهنه كلام صديقه "دادامو" الذي وصف له هذه المدينة على أنها: "مدينة كبيرة وجميلة وقريبة من العاصمة الجزائرية"¹.

فكانت وجهة فريكي نحو هذه المدينة مفعمة بالأمل فقد بث كلام صديقه في نفسه الارتياح والطمأنينة لهذا المكان وفي هذا نجد بلانكا تقول: "...ووصلنا إلى مدينة البليدة التي كان فريكي يتوق إليها"².

كما نلاحظ بين هذه السطور كيف أن "بلانكا" أعجبت بجمال المقر الجديد فهي تقول: "كانت المدينة جميلة جدا، وما لفت انتباهي وفرة بساتين البرتقال والجبال المحيطة بها"³. لكن وعلى الرغم من الجمال الذي رآته عينا بطلة الرواية إلا أن الإحساس بالوحدة والغربة لم يفارقها.

وبعد الولوج إلى عمق المدينة وبعد مرور أكثر من عشرين يوم من تواجدهم هناك، ينامون في الطرقات وتحت الجسور وعند مداخل العمارات... أصبحت من جديد مسرح الذكريات وشريط لاسترجاع الماضي، لم تكن البليدة هنا مكانا مسالما، لم تكن مكانا أليفا بالنسبة لهم لأن الظروف صارت أقسى بحلول فصل الشتاء وفهم مرميون في الشوارع، لم تمنحهم البليدة الدفء الذي أملوه، وفي نص الرواية نجد "بلانكا" تسرد لنا المعاناة فتقول: "المدينة باردة، سرقت من ملامح الوجوه إنسانيتها... وراء خوفنا كنا نتأمل ذواتنا المسحوقة... ونستعيد الذكريات الهاربة والمهربة في أعماقنا... كنا أوفياء للصمت، وكانت مشاعرنا تحتاج إلى من يربت على كتفها المتعب بجنو، وأن تمنحنا بعض الرّفير والشّهيق لتنفس من جديد"⁴، ولعلّ هذا يقسر لنا مدى الألم الذي اجتاحت قلب "بلانكا" وعائلتها في هذا المكان الذي انتقلوا إليه وكلهم أمل، المكان الذي أعجبت به بطلة الرواية، إلا أن الخيبة كانت حليفها، فالقسوة التي قابلتهم بها الطبيعية جعلت من الحياة- بصفة أدق- من التّنفس صعب.

¹-المصدر السابق، ص 131.

²-المصدر نفسه، ص 133.

³-المصدر نفسه، ص 134.

⁴-المصدر نفسه، ص 135.

وتتم "بلانكا" السرد: "هبَّ الرِّيح باردة، كانت تلسعني كظلي البارد... الكلَّ يهرع إلى وجهات مختلفة ويأوون إلى بيوتهم، أمّا نحن فنظل في الشارع بلا سقف نأوي إليه"¹، وهنا ما يمثل الحرمان، فلم تكن البلدة تلك الجميلة غطاء لهم من البرد بل كانت كثقب يمرّ البرد من كل الجهات ليلسعهم، هم سكان دولة النّيجر ذات المناخ الحار والقاحل، أجسادهم تعوّدت وتأقلمت مع ذلك الجو السّاخن الذي تبلغ فيه الحرارة ذروتها، كيف لهم تحمل البرد الشديد فجأة؟! ألا يشكل ذلك عائقا عويصا بالنسبة لهم؟! ألا تمثل البلدة مكانا منافيا ومعاديا لما أملوه؟!!

وبالعودة إلى نص الرّواية نجد أن فريكي مازال يبحث عن المدينة الإفريقيّة الجميلة التي وصفها له صديقه.

إلا أن البلدة حكمت على أنّها فضاء لن يرتاح فيه هذا الجمع العائلي اللاجئ، نجد أن "بلانكا" مازالت تحكي ألمها ومعاناتها التي نستطيع الإحساس بها ورؤيتها كشريط صور مرسوم بين أسطر الرّواية، تقول وتؤكد: "في هذه المدينة الباردة، العارقة في الرّتبة والقلق والفوضى، وهي حتما لا تستمع إلى أناتنا المتعاقبة أو صوت أنفسنا اللاهته، أو صرخاتنا الموهّودة، أو حتى تمسح دموع صغارنا الجوعى"²، تقول أيضا معبرة عن خوفها من عدم القدرة على التحمل أكثر: "كيف لي أن أحتمل كل هذا البرد، الجوع فقد تعوّدت عليه، أمّا البرد فلا أستطيع، لا أستطيع... أن يجتمع البرد والجوع معا، فذلك يا إلهي مالا أحتمله، لم تعد لي قدرة على التحمل أكثر..."³.

إذن فالآلام البطلة ومعاناتها بل وأحزائها لم تنقص قط، بل كانت تتجدد وتزداد، ولم تكن البلدة سوى صورة لألم جديد وبالتالي فإنها تمثل فضاء طاردا، لم تجد فيه اللاجئة، المهاجرة، الهاربة كرها من وطنها الأم، ما كانت تبحث عنه، وكأن العالم بأسره يتوعدها بالنّفور والطرّد.

9- الشّارع:

1-المصدر السابق، ص 135.

2-المصدر نفسه، ص 136.

3-المصدر نفسه، ص 137.

عبارة عن مكان عمومي، ذو ملكية جماعية أو عامة يكون في المناطق العمرانية، كما أنه من أساسيات المدن، وشكل من أشكال التطور الحضري.

ويمثل الشارع في رواية "الزنجية" ذلك المكان الذي يعدّ ملجأً وحيداً للاجئين أمثال البطلة "بلانكا" ومعنى الملجأ هنا ليس المأوى وليس أنه المكان الذي يقيها أو يحميها من لسعات الطبيعة أو من الخوف، والدعر الذي كان يتملّكها من حين لآخر، بل معناه لا مكان سواه يمكنها التواجد فيه رفقة أسرتها.

تتجدّد المعاناة في هذا المكان، ولا ينتهي الألم، ولا ينتهي الجوع، تقول "بلانكا" واصفة هذا: "...نحن على نفس الحال من التّشرد بين شوارعها، وبين المدن المجاورة لها"¹، فنجد أنّ الشارع يرمز للتّشرد والتّجول تسوالياً، بحثاً عن زاوية أمل، لكن لا وجود لذلك لأن "بلانكا" لم تجد في هذا المكان برّ الأمان الذي كانت ترجو وجوده، مرض طفلتها إفريقيا بالحمّى وهي على قارعة الطريق في شارع يعد ممرّاً للرياح الباردة جعل منه فضاءً سلبياً خانقاً للنفس، فلا ترتاح فيه ولا تهدأ، فحياة البطلة في الشارع حياة مزرية لا هي في قائمة الأحياء ولا في قائمة الأموات، حياة شبه منعدمة.

فالشارع إذا في هذه الرواية، يمثل ذلك الحيز المعادي والمكان الطّارد الذي لا تجد فيه شخوص الرواية أمنها وأمانها الذي تبحث عنه.

10- تحت الجسر:

هو ذلك الفضاء الذي ترك فيه فريكي عائلته للبحث عن ملجأً لهم، وملجأهم كان المدينة الموعودة، فيقول فريكي: "في هذه اللّحظة بالذات، وبعد ليلة باردة، قضيتها بعيداً عن بلانكا ووالدي والصّغار، أين تركتهم تحت الجسر في محاولة مني البحث عن مأوى نلجأ إليه في المدينة الإفريقية، وخاصة في هذا الفصل الشتوي البارد، أين يتساقط الثلج بقوة على مرتفعات الجبلية التي تحيط بالمدينة"²، فوجودهم هنا تحت الجسر بلا مأوى يحميهم من البرد والجوع خاصة في فصل الشتاء، نجد

¹-المصدر السابق، ص 135.

²-المصدر نفسه، ص 162.

أن فريكي هنا يعاني من الوحدة فهو بعيد عن عائلته إضافة إلى البرد الذي عانى منه ليلة كاملة، كما تقول بلانكا أيضا في تعبيرها عن هذا البرد الذي تعاني منه: "هناك من حيث قدمنا كانت الحرارة تَلْفَحُنِي، وهنا البرد يرعشني، تصطكُّ له أسناني هناك كنت عارية الجسد، وهنا أرتدي لباسا خفيفا وفضفاضا وداخلها ساقان عاريتان ترتعشان، آه.. كم كنت أشعر بالبرد"¹، فهنا معاناة البرد لا تتوقف عند فريكي فقط بل حتى بلانكا تعاني بسببه فلا يكفي شعورهم بالغربة وهروبهم من واقعهم المزري، ليجدوا أنفسهم بلا مأوى في الشارع، ينامون تحت الجسر.

11- تحت سلام العمارة:

هو ذلك المكان الموجود أسفل سلام العمارة و نجده هنا في الرواية أنه ذلك المكان الذي استخدمته بلانكا وعائلتها كملجأ مؤقت لهم، حيث كانت تعود إلى نفس المكان تنتظر هناك عودة زوجها فريكي، فكانوا يبيتون في العراء ليس لهم مأوى، هذا إضافة إلى وحدتها واحساسها بالغربة في هذا الفضاء الغريب عنها، فتعبر بلانكا عن هذا بقولها: "كان الوقت ليلا وأنا أمسح دمعي الذي يغلبني أضمها إلى صدري وأمشي بها في نفس الطريق وأعود بها تحت سلام العمارة الفارغة أنتظر عودة فريكي الذي غاب عنا أيامنا للبحث عن المدينة الافريقية الموعودة وصغيرتي تن من شدة الوجد"²، فهناك تعبير صريح عن حزنها الذي غيم على قلبها، فهي لا تستطيع فعل أي شيء سوى الإنتظار، وصغيرتها تتألم أمام عينيها، فبلانكا تكتم داخلها صرختين صرخة لألم ما عانتها في خاتها وصرخة لعدم قدرتها على تغيير واقع ابنتها فتعبر عن هذا فتقول: " تعالت صرخاتي المكتومة صرخة الطفولة لحظة الألم لهول ما صنعوه بجسدي، صرخة الأمومة التي انتفضت بداخلي لحظة الضعف، لأتكبّد مرارة الأنتى التي تحجل من البوح الذي أنهك روحها المتعبة"³.

وتضيف معبرة عن هذا التعب والأعياء الذي يسكن قلبها تقول أنه بعد هذا التعب الذي نال منها توسدت ذراعها ونامت مع صغيرتها التي نال منها التعب والإرهاق بسبب ما عانتها من وجع

¹-المصدر السابق، ص 163-164.

²-المصدر نفسه، ص 136.

³-المصدر نفسه، ص 137-138.

وقهر نفسي، كما جاء في الرواية "توسدت ذراعي، وفي حضني صغيرتي إفريقيًا ونامت من شدة الأعياء والبكاء والقهر النفسي على قطعة من الورق المقوى في إحدى زوايا العمارة"¹، فالخوف والجزع شعورين ملازمين والمأوى الوحيد هو سلام العمارة ففي هذه المدينة حيث جاؤوا لم يتصوروا شكل البيت ولم يتعرفوا على شعور العيش داخل البيت: "ففي هذه المدينة حيث كنا نقيم أو ننام، لم نعرف معنى البيت، لم نتخيل حتى شكله، مستطيلاً كان أو مربعاً، لم نعلم بمديقة أو طاولة عليها طعام شهي"².

بالإضافة إلى معاناة فريكي فتقول عنه الشخصية هاجر أنها وجدته في حالة يرثى لها ومعاناته لا تحتمل فتقول: "عندما تركت فريكي في تلك الحالة التي يرثى لها عند مدخل العمارة، شعرت بحالة من القلق والتوتر النفسي، فقد كانت معاناته لا تحتمل وأنا أصعد سلام العمارة"³، فمن خلال هذه الأحداث والوقائع التي تسببت لبلانكا وفريكي في آلام وأوجاع في هذا المكان إنما تدل على أنه فضاء معادي بالنسبة لهما.

ثانياً: الفضاء الأليف

إنّ جلّ الفضاءات التي وظفتها الروائية عائشة بنور في رواية الزنجية هي فضاءات طاردة، والفضاء الطارد كما ذكرنا سابقاً هو ذلك الفضاء الذي تنفر منه الشخص الروائية، ويتجسد في الأمكنة السلبية، المعادية، المنبوذة... ومن خلال دراستنا للفضاء في هذه الرواية أدركنا أنه لا وجود للفضاء الأليف والذي ينحصر في الأمكنة الإيجابية المحبوبة والتي تشعر فيها شخص الرواية بالراحة والاطمئنان والأمن...، فنجد في جميع الأحداث أنّ أبطال الرواية يبحثون عن مكان الألفة ولم يجدوه، حتى الأمكنة التي كانت بالنسبة لغيرهم فضاء أليفاً كانت لهم بمثابة الكابوس، لأنّها شخصيات مهمشة ومقهورة وهذا ما تجسد في قول البطلة بلانكا: "المكان مقموع، وشخصياته مقهورة، وتفاعل

¹-المصدر السابق، ص 138.

²-المصدر نفسه، ص 141.

³-المصدر نفسه، ص 170.

مأساوي رهيب نعيشه يوميا وخوف من المجهول يسكننا¹، فحتى المجهول كان يشكل فضاءا معاديا بالنسبة لهم، إذ كانوا يخافونه، بسبب المعاناة اليومية وعدم الشعور بالاستقرار والأمان والسلام ومصاحبة فكرة الموت والغربة لهم، فكلها مشاعر يتعايشون معها على الدوام، والفضاء الأليف الوحيد تجسّد في الأمل، الأمل الذي كان يُشعّ مع كلّ انطلاقة ووجهة، الأمل الذي كان خلف خط أغاديس، خلف الحدود الجزائرية، خلف تمارست نحو البليدة أو خلف الضّفة الأخرى، بصفة أخرى أوضح الفضاء الأليف لم يتجسّد في الواقع الملموس وإنما تجسّد في جزء من الخيال مُصاحَب بالخوف وعدم الطّمأنينة، فالمكان الذي حمّله التّصور كفردوس أصبح جحيما في الواقع.

و كملخص لهذا الفصل نقول أن الفضاء الطارد هو الفضاء الطاغي في رواية الزنجية لعائشة بنور، عكس الفضاء الأليف الذي لم يكن موجود، رغم بحث الشخصيات المستمر عنه بل نجد أن هذه الأخيرة قد حملته كتصور أو كأمل مع كل انطلاقة جديدة.

¹-المصدر السابق، ص 56.

الخاتمة

الخاتمة:

في ختام بحثنا يمكن أن نلخص نتائجه في الآتي:

- الفضاء الروائي أهم عنصر في بناء الرواية، حيث يمثل الأرضية أو المسرح الذي تتفاعل فيه باقي العناصر الروائية.
- الفضاء مرتبط بالشعور الإنساني وبالأمكنة التي تتواجد فيها الشخصيات الروائية، ولا وجود لها دون فضاء يضمها.
- الفضاء الطارد، هو ذلك الفضاء السلبي المنبوذ الذي تشعر داخله الشخصية الروائية بالنفور وعدم الأمان والاستقرار إذ تعاني فيه من الغربة وعدم الانتماء حيث يصاحبها الإحساس بالخوف وتلازمها فكرة الموت وينحصر هذا النوع من الفضاءات في تلك الأمكنة المغلقة والمعادية.
- الفضاء الأليف، هو ذلك الفضاء الإيجابي، المحبوب الذي تشعر داخله الشخصية الروائية بالأمان والاستقرار، لتغمرها السكينة والراحة النفسية، وينحصر هذا النوع من الفضاءات في تلك الأمكنة المفتوحة.
- الفضاء المهيمن في رواية "الزنجية" لعائشة بنور، هو الفضاء الطارد.
- مثل الفضاء الطارد في الرواية عاملا حاسما في الكشف عن عوالم الشخصيات السردية، حيث كان له الأثر العميق في نفسياتها وشكل جزءا هاما من همومها ومعاناتها. لقد حمل فضاء البئر كل تناقضات الحياة، فهو مصدر الماء ومصدر الحياة مثلما كان -في عديد المرات- مصدر الموت والشقاء، ذلك أن الأوبئة التي أصابت أهل القرية (الملاريا مثلا) كانت بسبب ماء البئر ذاتها. ولقد كان المنجم أيضا حاملا لمثل هذه التناقضات فهو مصدر قوت أهل القرية وحياتها وهو أيضا لعنة عليهم بسبب التلوث الحاصل بسبب النفايات والغبار المشع نوويًا مما ساهم في تلويث الجو والأرض معا، والكلام الذي يقال عن البئر والمنجم ينطبق على صورة الكوخ وصورة القيتوهات (أي الخيم) في آن معا

- يمكن أن نلفت النظر إلى تحولات المكان من كونه يحمل صورة فردوس إلى صورة الجحيم في تصورات الشخصيات، حيث كانت الجزائر قبل الانتقال إليها تمثل عالم الخلاص الدنيوي في رحلة الهجرة السرية من النيجر إلى تمراست، ولكن بعد وصولهم تحولوا إلى ممارسة التسوّل وحياة التشرد. كذلك هو الحال بالنسبة لمدينة البليدة؛ فقد مثلت في البداية أملا جديدا، ولكن سرعان ما تلاشى هذا الأخير إثر اصطدام بطلة الرواية بواقع أشد مرارة بسبب البرد الشديد والجوع. فالمدينة التي حملتها جنة في ذهنها سرعان ما اصدمت تصورها بواقع مر.
- لم يكن للفضاء الأليف في رواية "الزنجية" وجود، إذ لم يتجسّد في الواقع الملموس ولم تجده الشخصيات على الرّغم من بحثها المستمر عنه، بل نجد هذه الأخيرة قد حملته كتصوّر أو كأمل مع كل انطلاقة جديدة أو وجهة أخرى، ففكرة الهجرة السرية نحو واقع أفضل كانت بدافع الأمل في وجود مكان أكثر ألفة ولكنهم حين وصلوا وجدوا واقعا مخالفا لتلك التصورات.

الملاحق

ملخص رواية "الزّنجية":

تبدأ أحداث الرواية في دولة التّيجر التي وصفت بطبيعتها القاسية وظروفها الصّعبة، تعيش هناك فتاة تدعى "بلانكا" تبلغ من العمر خمس عشرة سنة، تعرضت في هذا العمر إلى الختان من طرف عجوز أقدمت على ختانها هي ومجموعة من الفتيات الصغيرات، هذا ما وُلد في نفس البطلة "بلانكا" حزنا وقهرا وألما شديدا سببه شفرة السّكين التي كانت بالنسبة لها لحظات مرعبة لا يمكن نسيانها، ومعاناتها لا تتوقّف هنا فقد كانت مجرد فتاة حلمها الحصول على رغيف خبز تكتم به جوعها، وحسب تعبيرها لقد كانت فتاة من عائلة فقيرة، تعيش في منطقة تكاد تنعدم فيها الحياة.

و في هذا الفضاء الموحش كان للبطلة "بلانكا" صديق يدعى "فريكي" هو الذي كان يعمل على مواساتها ومحاوله التّخفيف من حزنها وألمها، فقد كان يحاول إقناعها بنسيان ما حدث وتجاوز الأمر، وأنه أمر عادي يحدث في عديد البلدان المجاورة، وبدأ حياة جديدة في دول الشمال والخروج من هذا الفضاء الذي سبب لها الألم، وبعد أن اقتنعت بفكرة الهجرة توجّهت هي وصديقتها "فريكي" الذي أصبح شريك حياتها (زوجها) وطفلتها "إفريقيا" وعائلتها إلى الجزائر، بهدف الحصول على لقمة العيش والعيش تحت سقف يأويهم في جو من الأمن والاستقرار لكن هذا لم يتحقق، واصطدموا بواقع آخر تماما، وبقي حصولهم على الفضاء الأليف أملا مع كل وجهة بل ظلّ مجرد تصور فقط.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

أ-المصادر:

1-رواية الزنجية لعائشة بنور، دار ريادة للنشر والتوزيع، ط2، 2021م.

ب-المعاجم والقواميس:

1-أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط4، 2005.

2-إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم الملايين، ط03، 1979.

3-بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان، د.ط.2008م.

4-مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، القاموس المحيط، دار الحديث القاهرة، د.ط.2008م.

5-معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط01، 2004م.

ج-المراجع:

1-أحمد طاهر حسنين وآخرون، جماليات المكان، عيون المقالات، الدار البيضاء، ط2، 1988.

2-بلسم محمد الشيباني، الفضاء وبنيته في النص النقدي والروائي "رباعية الخسوف لإبراهيم الكوني نموذجاً منشورات مجلس الإبداع الثقافي الجماهيرية، ط01، 2004م.

قائمة المصادر والمراجع

- 3- حسن مجراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، لبنان، المغرب، د.ط. 1990.
- 4- حسن نجمي، شعرية الفضاء والمتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، لبنان، المغرب، د.ط. 2000.
- 5- حميد حميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1 ، 1991.
- 6- حميد حميداني، البنية السردية من منظور النقد الغربي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2000.
- 7- حورية الظل، في الرواية العربية الجديدة، دار نينوي، سوريا، دمشق، ط1 ، 2001.
- 8- سمر روجي فيصل، الرواية الغربية البناء والرؤيا، مقاربات نقدية، إتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط. 2003م.
- 9- سيزا قاسم، بناء الرواية "دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، د.ط. ، 1978.
- 10- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، دار النشر والتوزيع، وهران، د.ط. ، 1998.
- 11- عبد الملك مرتاض، القصة الجزائرية المعاصرة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط. 1990.
- 12- عبید محمد صابر، مغامرة الكتابة في تظاهرات الفضاء النصي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2016.
- 13- غاستون باشلار، جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1984.

قائمة المصادر والمراجع

- 14- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، دار العربية للعلوم، ط1، 2010.
- 15- لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، لبنان، مكتبة لبنان، ط1، 2002م.
- 16- محمد بنيس، الشعر العربي الحديث بنيته وابدالاتها الشعر المعاصر، ج3، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2001.
- 17- محمد بوعزة، تحليل النص السردي، تقنيات ومفاهيم، منشورات الاختلاف، الرباط، ط1، 2010م.
- 18- محمد عزام، شعرية الخطاب السردي، إتحاد الكتاب العربي، دمشق، ط1، 2005م.
- 19- مرشد أحمد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005.
- 20- مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنامينه "" حكاية بحار"-الدقل-المرفأ البعيد، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط1، 2011م.

د-المقالات

- 1- مشري بن خليفة، حمزة قريرة، الفضاء الروائي بنية وعلامة، مجلة الأثر، العدد 10، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2011.
- 2- نصيرة زوزو، إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر، مجلة الآداب للعلوم الإنسانية والاجتماعية، كلية الآداب، جامعة بسكرة، الجزائر، جانفي، 2010م.

ه-الأطروحات:

قائمة المصادر والمراجع

1- محمد السعيد عبدلي، البناء السردي في رواية "عزازيل" ليوستف زيدان، أطروحة دكتوراه، علي طرش، قسم اللغة العربية وآدابها كلية الآداب واللغات، جامعة لونيستي علي، البليدة، 2016، 2017.

و-المواقع الإلكترونية:

1-1- النيجر، جمهورية النيجر، الموسوعة الجزيرة 214 /100/29، www.aljazeera.net، يوم الخميس 4 أبريل 2024-18 سا -45د.

2-International .Fund for Agricultural Development-

يوم الخميس 4 أبريل -2024-19 سا-02/البلد/www.ifad.orgopratio/

3-الطرق: Les routes تعريف الطريق. 2022 /12 /eddirasa.com/ يوم الجمعة 5 أبريل 2024، 16 سا-32د.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الصفحة	فهرس الموضوعات
أ-ب	المقدمة
الفصل الأول: ماهية الفضاء في الرواية	
7	أولاً: مفهوم الفضاء
7	1- لغة.
8	2- اصطلاحاً.
9	ثانياً: مفهوم المكان:
10	1- لغة
11	2- اصطلاحاً.
13	ثالثاً: مفهوم الحيز:
13	1- لغة
14	2- اصطلاحاً
15	رابعاً: الفرق بين الفضاء والمكان والحيز
18	خامساً: علاقة الفضاء بالشخصية
19	1- فضاء أليف.
21	2- فضاء طارد.
23	سادساً: أنواع الفضاء الروائي
23	1- الفضاء الجغرافي
24	2- الفضاء النصي.
28	3- الفضاء الدلالي.

فهرس الموضوعات

29	4-الفضاء كمنظور أو كرؤية
30	سابعاً: أهمية الفضاء في الرواية
الفصل التطبيقي: تجليات الفضاء الطارد والفضاء الأليف في رواية الزنجية لعائشة بنور	
33	أولاً: الفضاء الطارد
33	1-البئر
35	2-الكوخ
36	3-منجم آرليت
38	4-القيتو
39	5-النيجر
44	6-الطريق "خط أغاديس"
46	7-تمنراست
47	8-البليدة.
50	9-الشارع
50	10-تحت الجسر
51	11-تحت سلم العمارة.
52	ثانياً: الفضاء الأليف
55	الخاتمة
58	الملاحق
60	قائمة المصادر والمراجع.
67	فهرس الموضوعات
70	الملخص

الملخص

ملخص:

قدمنا في هذا البحث الموسوم ب «الفضاء الطارد والفضاء الأليف في الرواية الجزائرية المعاصرة» رواية الزنجية" لعائشة بنور- أنموذجا-،دراسة في بناء هيكلي متكون من مقدمة وفصلين وخاتمة،ففي الفصل النظري تعرفنا عن الفضاء الطارد والفضاء الأليف ،أما في الفصل التطبيقي فكشفنا عن علاقة الفضاء بالشخصية البطلة من خلال تصنيف الفضاءات إلى طاردة وأليفة ،وهذا من خلال التعرف على شعور الشخصية ،حيث توصلنا إلى أن الفضاء الطاغي في الرواية هو الفضاء الطارد ،أما الفضاء الأليف فقد كان عبارة عن تصور تحمله الشخصيات فقط .أما عن الخاتمة فقد كانت عبارة عن أهم النتائج المتحصل عليها.

الكلمات المفتاحية:الفضاء، الطارد، الأليف، الزنجية، عائشة بنور

Abstract :

In this research entitled "The repellent space and the domestic space in the contemporary Algerian novel "The Negroid" by Aisha Bennour, we presented a study in a structural structure consisting of an introduction, two chapters and a conclusion.

-In the theoretical chapter, we learned about the repellent space and the friendly space, while in the applied chapter, we revealed the relationship of space to the heroine's character through the classification of spaces into repellent and friendly, and this by identifying the character's feelings, where we concluded that the dominant space in the novel is the repellent space, while the friendly space was a perception carried by the characters only. As for the conclusion, it was the most important results obtained.

Keywords=space, repellent, pet, negro, Aisha Benaur